
إصدارات مركز الإحسان للإنتاج الفني والإعلامي
إصدار رقم (1)
رمضان
نقطة تحوّل
وموسم تغيير
تأليف : علي صالح طمبل

رمضان

نقطة تحول وموسم تغيير

■■■

تأليف: علي صالح طمبل



إصدارات

مركز الإحسان للإنتاج الفني والإعلامي

الإصدار رقم (١)

الطبعة الأولى

شعبان ١٤٤٠هـ أبريل ٢٠١٩م

التصميم: بدر الدين محمد النور

فهرسة المكتبة الوطنية أثناء النشر- السودان
216.236 علي صالح طمبل -1978.
ع ص.ر
رمضان: نقطة تحول وموسم تغيير/ علي صالح طمبل.-
الخرطوم؛ ع ص . طمبل 2019
80 ص : 24 سم
ردمك 6-963-1-99942-978
1-الصوم (الإسلام)
أ.العنوان.

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

إهداء

■■■

إلى كل من صام قلبه عما سوى الله جلَّ وعلا

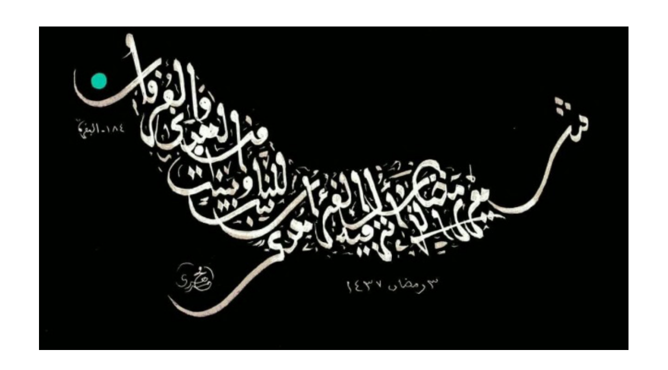
وصامت جوارحه عما يغضبه سبحانه

وسخَّر نِعَمَ الله في طاعته تبارك وتعالى

وصام رمضان إيماناً واحتساباً

أهدي هذا السِّفر المتواضع

سائلاً الله جلَّ وعلا الإخلاص والقبول



مقدمة الناشر

■■■

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على المعلم الأواه محمد بن عبد الله عليه صلوات الله وسلامه، وعلى آله وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعد

بين يدي القارئ الكريم كتاب مهمٌّ عن شهر عظيم، ومدرسة خالدة، تتجلى فيها صور التضحية والصبر، وتعلو فيها مظاهر التلاحم والتراحم؛ وتأتي أهمية الكتاب لارتباطه بعظمة الشهر ومكانته، الشهر الذي أُنزل فيه أعظم الكتب وأفضلها (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ) [البقرة: ١٨٢]، وكان به تغيير للعالم وتحول كبير من الضلال إلى الهداية، ومن الجهل إلى العلم، ومن الظلمات الي النور، (يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ) [النور: ٣٥].

نحن نعيش في عصر هجرت فيه الأمة كتاب ربها تبارك وتعالى وسنة نبيها عليه الصلاة والسلام، إلا من رحم ربي، فكان لا بد من تبصرة وذكرى (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) [الذاريات: ٥٥].

(رمضان نقطة تحول وموسم تغيير) هو كتاب يسعى إلى التغيير من الممارسة الخاطئة التي تجعل كثيراً من الناس يؤدون العبادات كما يؤدون العادات، دون استحضار للنوايا أو استدعاء للحكم التي شُرعت من أجلها، حتى أفرغ الصيام - مثل غيره من العبادات - من محتواه الروحي وبعده الرباني؛ الذي من أجله شُرع (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [البقرة: ١٨٣]؛ فلا معنى للجوع والعطش إن لم يأتمر الصائم بأمر الله وينتهِ عن نواهيه.

ومؤلف الكتاب هو الأستاذ علي صالح طمبل الكاتب الأديب والإعلامي الذي يخاطب الوجدان بأسلوب فريد؛ يجمع بين القوة والجزالة والسلاسة

والبساطة، وفقه الله للمزيد من الخير المقروء والمسموع.

إن إدارة الإحسان للإنتاج الإعلامي والتوزيع، إذ تقوم بنشر هذا الكتاب فإنها تفتتح به سلسلة من الإصدارات والمطبوعات؛ إيماناً منها بالدور الكبير لنشر المعرفة وأثرها في التغيير المنشود؛ وسوف تتبعه بإذن الله تعالى مجموعة أخرى من المؤلفات والمطبوعات والبحوث في مجالات متنوعة، تعالج قضايا مختلفة، تُضاف إلى ما قدَّم الإحسان من برامج متنوعة، تلفزيونية وإذاعية، بثت وتبث عبر عدد من الفضائيات والإذاعات؛ وكلٌّ ذلك يقدم مجاناً من أجل نشر المعرفة والعلم.

وفي الختام، وبعد شكر الله أشكر الأستاذ علي صالح طمبل، سائلا الله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسناته، وأن يتقبله منه ومن كل من ساهم فيه وساعد على نشره.

والشكر أيضاً موصول للقائمين على أمر الإحسان، سائلين الله أن يتقبل منهم ويبارك فيما يقومون به، وأن يجعلهم ذخراً للعباد والبلاد... آمين

مجاهد مكي أحمد

المدير التنفيذي لمركز الإحسان

للإنتاج الفني والإعلامي

شعبان ١٤٤٠هـ /أبريل ٢٠١٩م

مقدمة المؤلف

■■■

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

كلنا ينشد التغيير، ويتوق إلى حياة ينعم فيها بسعادة القلب وراحة البال، يتصالح فيها مع نفسه، ويفتح فيها صفحة جديدة مع الله جلَّ وعلا، حياةٍ يُولد فيها من جديد، يعمِّر قلبه فيها بالإيمان، ويسخِّر جوارحه في طاعة الرحمن.

ورمضان سانحة ذهبية لتحقيق هذا التغيير المنشود؛ فهو موسم فوق العادة، فيه من المنح والعطايا والجوائز والهدايا ما لا يعلمه إلا الله تبارك وتعالى، وهو نفحة من نفحات الله عزَّ وجلَّ، من تعرض لها قد لا يشقى بعدها أبداً؛ فأَخْلق بالكيِّس اللبيب أن يستثمره خير استثمار، وأن يدخل فيه في تجارة مع الله، لن تبور بإذنه سبحانه، فمن فاته ذلك فقد خاب وخسر، إن لم يتغمده الله برحمته ولطفه.

ويأتي هذا الكتاب الذي وفقني الله جلَّ وعلا في تأليفه وطباعته؛ ليمثل تذكرة لكاتبه وللقراء بفضل هذا الشهر الكريم، وأهمية انتهاز كل لحظة من لحظاته في طاعة الله والتقرب إليه بالنوايا الخالصة والأعمال الصالحة، وهو دعوة لنشمِّر عن ساعد الجد، ونُعِدَّ الإعداد الروحي قبل المادي؛ حتى نخرج منه بمغفرة الذنوب، والعتق من النيران، وتحصيل أوسط الجنان.

والكتاب يضم اثنين وثلاثين مقالاً من المقالات التي كُتبت في سنوات ماضية، قبل رمضان أو أثناءه، نشرت مجموعة منها بموقع الإحسان للإنتاج

الفني والإعلامي وغيره من المواقع جمعتها في ترتيب راعيت فيه التسلسل الزمني، وألحقت الموضوعات المتشابهة ببعضها؛ حتى يُكمل بعضها بعضاً.

وقد يجد القاريء الكريم تكراراً في بعض الأفكار أو العبارات الواردة في عدد من المقالات، سببه كتابة هذه المقالات في فترات مختلفة؛ لكننا أبقينا على هذا التكرار من باب التأكيد على بعض المعاني المهمة، والتذكير بضرورة المسارعة والمسابقة في مواسم الخيرات.

ولا يفوتني في هذه السانحة أن أشكر الإخوة في مركز الإحسان للإنتاج الإعلامي والتوزيع الذين تبنوا طباعة ونشر هذا الكتاب ضمن سلسلة إصداراتهم النافعة، سائلاً الله أن يجزل لهم المثوبة والعطاء، وأن يجعل ما قدموه عبر المركز من خير للمسلمين صدقة جارية في ميزان حسناتهم بإذنه تبارك وتعالى.

كما أتقدم بالشكر إلى الأستاذين الأديبين أحمد رمضان الخباز وعبد الوهاب عوض الخضر على مراجعتهما للكتاب وإبدائهما الملاحظات النافعة التي أفضت إلى تنقيحه وتشذيبه قبل نشره للقارئ الكريم فجزاهما الله خيرا وتقبل منهما .

ختاماً، نسأل الله أن يبلغنا رمضان، وأن يوفقنا فيه إلى الصيام والقيام إيماناً واحتساباً على الوجه الذي يرضاه عنا، وأن يتقبله منا، إنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

■■■

علي صالح طمبل

شعبان ١٤٤٠هـ /أبريل ٢٠١٩م

رمضان: الضيف الكريم

■■■

إذا أُخطر أحدنا بقدوم ضيف كريم، وزيارة شخصية مهمة من تلك الشخصيات التي تُفتح لها صالاتُ كبار الزوار في المطارات، وتُنزل في أفخم الأجنحة بأرقى الفنادق، ويصحبها الحراس والخُدَّام والحشم؛ فإننا لا شك سنستعد لاستقبال هذه الشخصية المرموقة استعداداً معنوياً ومادياً، بما يليق بمقامها السامي ومنزلتها الرفيعة، وسوف نفرغ وسعنا في إكرامها والعناية بها.

إن رمضان يفوق في مقامه ومنزلته كل المقامات والمنازل البشرية في عصرنا الحالي، فهو ضيف بلغ أرفع المستويات، ونال أعلى الأوسمة والشهادات؛ لأنه الشهر الذي اختصه الرحمن بأن أنزل فيه كلامه جل وعلا، وفتح فيه أبواب الجنان، وأوصد فيه أبواب النيران، وصفَّد الشياطين، وأعتق فيه رقاباً كثيرة من النار، وفيه ليلة العبادة فيها خير من عبادة ثلاث وثمانين سنة أو يزيد، من حُرِم أجرها فقد حُرِم؛ كما أخبر بذلك رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام.

إن المستقبلين والمضيِّفين لشهر رمضان المبارك على صنفين: صنف أحسن استقباله وهش وبش له، وقابله بالحفاوة والترحاب، وأكرم نزله بما هو أهله، فانبسطت أسارير الضيف الكريم وأُثلج صدره؛ فكافأ مضيفه مكافآت سخية، وأجزل له العطاء، وأغدق عليه من المنح والهدايا والجوائز الكبرى ما تقرُّ به الأعين، وتنشرح له الصدور.

وصنف آخر استقبل رمضان ببرود وفتور، ووجه متجهم وصدر منقبض، وعدَّه ضيفاً ثقيل الظل، جاء ليقيِّد حريته ويكبِّل شهواته؛ فتشاغل عنه بالتوافه والسفاسف، وأنزله من المنازل والمقامات ما لا يليق بمثله، ولم يبذل جهداً في إكرامه والإحسان إليه؛ فكان أن خرج منه الضيف مغضباً

ساخطاً، ولم يظفر بما معه من العطايا الثمينة والمنح الغالية ، وربما كان نصيبه الشقاء والخسران إن لم يتوله الله جلَّ وعلا برحمته وعفوه!

إن الصنف الأول شمَّر في شهر رمضان عن ساعد الجد، فأحيا نهاره وليله بالطاعات والقربات، من صلاة، وذكر، وقراءة قرآن، واعتكاف، وصدقة، وبر والدين، وصلة أرحام، وإفطار صائم، وغيرها من أعمال البر والخير، واستثمر كل لحظة من لحظاته في التقرب إلى الله ابتغاء وجهه ومرضاته؛ فاستحق العلو في الدرجات ومضاعفة الحسنات، وفاز بالجائزة الكبرى: العتق من النيران والفوز بجنة الرضوان.

وإن الصنف الآخر ضيّع أوقات رمضان الغالية في النوم، والخمول، واللهو، واللعب، والسمر، والأكل، والشرب، وتهاون في الفرائض، وفرَّط في النوافل، واجترأ على المعاصي، دون مراعاة لحرمة الشهر ومنزلته؛ فلم يكن له من صومه إلا الجوع والعطش، واستحق الخيبة والخسران، وباء بسخط الرحمن، حين ضيَّع الفرصة الثمينة التي قد لا يتسنى له تعويضها أبداً.

ولكننا نعود لنقول: إن الفرصة ما زالت سانحة لجبر ما انكسر وإصلاح ما أُفسد، وإن الله تواب رحيم بمن تاب إليه وأناب، وإن من اجتهد فيما بقي غُفر له ما قد سلف؛ لأن الأعمال بالخواتيم.

إن أبواب المغفرة والعتق من النيران ما زالت مفتوحة مواربة بحمد الله تعالى؛ فلننتهز الفرصة قبل فواتها، فنقبل على هذه الأبواب قبل أن تُوصد؛ لنتعرض لهذه النفحات والبركات؛ فلعلنا لا نشقى بعدها أبداً.

على مشارف رمضان

■■■

مع تباشير شهر رمضان المبارك التي تلوح كل عام، يختلف حال الناس مع هذا الشهر بين مقبل ومدبر، ومستكثر ومستقل.

هناك فئة من الناس ما إن يذكر لها رمضان حتى يخطر ببالها ما فيه من جوع وعطش ونصب، وما فيه من أصناف الطعام التي يسيل لها اللعاب من لذتها ودسامتها، وما فيه من ليالي السمر واللعب والفوازير والمسلسلات والأغاني التي تتنافس فيها القنوات الفضائية وتتبارى من أجل إلهاء الناس بها؛ حتى يخرجوا من رمضان بخُفي حنين، لم يحققوا التقوى المنشودة، ولم يفوزوا بالعتق من النيران، ولم يخرجوا بذنب مغفور، ولم يكن لهم من صيامهم إلا الجوع والعطش، وهؤلاء يصدق فيهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر والحمى)[1].

فترى هذه الفئة ما إن يتبقى لرمضان يوم أو يومان حتى تمتلىء بها المطاعم والمقاهي، ومنهم من يكثر من المعاصي فيما يسمى بـ(خم الرماد)! ومنهم من يعتني بإعداد وسائل الراحة، من مكيفات ومراوح وفُرُش وثيرة، ويستهدف المساجد المهيأة؛ حتى يُهدر وقت رمضان الثمين في الراحة والنوم!

وأما الفئة الثانية، فهي التي تستبشر خيرًا بمقدم رمضان، وتتذكر أول ما تتذكر ما فيه من صيام، وقيام، وقراءة قرآن، ودعاء، ومناجاة لله تعالى بالأسحار! فتتهيأ نفسيًا لاستقبال هذا الشهر الكريم بما هو أهله. ومنهم من ينشط في تقديم أو حضور المحاضرات والدروس التي تهيئ الناس لرمضان، ومنهم من ينشط في جمع التبرعات لإعداد كيس الصائم الذي يُوزَّع على الفقراء والمساكين من أهل الحيِّ.

١ رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

إنها فئة اهتمت بالإعداد الروحي والشحن الإيماني، وأكثرت من الدعاء أن يبلغها الله جل وعلا رمضان القابل، ويتقبل منها رمضان الماضي؛ حتى تكاد تكون كل أيامها رمضان.

فلنختر إذن بين الفئتين: فئة نظرت إلى رمضان باعتباره مضمارًا للتسابق في الخير، وسانحة لا تُعوَّض، وأيامًا معدودات قلائل، تُفتح فيها أبواب الجنان على مصاريعها، وتُغلق أبواب النيران، وتُقيَّد مردة الشياطين؛ فأقبلت عليه لتظفر بما معه من الهدايا القيمة والجوائز الثمينة؛ لتفوز بتكفير السيئات، ورفع الدرجات، والعتق من النيران.

وفئة نظرت إليه باعتباره ضيفًا ثقيلًا، فاستثقلت وجوده، وتغافلت عنه بالانسياق خلف ملذات النفس وشهواتها، فغادرها دون أن تظفر بما معه من العطايا والمنح؛ لتخسر السباق والرهان! ويا له من خسران مبين، وفي الحديث: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتقى المنبر فقال: آمين، آمين، آمين، فقيل: يا رسول الله ما كنت تصنع هذا؟ فقال: قال لي جبريل: رغم أنف عبد دخل عليه رمضان فلم يغفر له، فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف عبد ذكرت عنده فلم يصلِّ عليك. فقلت: آمين، ثم قال: رغم أنف عبد أدرك والديه أو أحدهما فلم يدخل الجنة. فقلت: آمين)[1].

إذن لا تتردد يا أخي ويا أختاه، ولنختر بين الفئتين؛ فلعل رمضان هذا العام يكون آخر رمضان في حياتنا، ودوننا من كانوا معنا في رمضان الماضي، فوُسِّدوا تحت التراب! والعاقل من اتعظ بغيره.

١- صححه الألباني في صحيح الترغيب (١٦٧٩).

رمضان القلوب..
ورمضان البطون..!!

■■■

عندما يحل رمضان ضيفاً على المسلمين تختلف طريقة ومكان استقباله من شخص إلى آخر، فينزل في قلوب البعض، بينما ينزل في بطون البعض الآخر!

من كان استقباله لرمضان في قلبه، فإنه يعدُّ العدَّة له بإخلاء القلب من سوى الله جل وعلا، وبتعليقه به سبحانه، بلا ندٍّ ولا شريك، فيفرِغ قلبه من الأنداد والشركاء كما يفرغه من الأمراض والعلل، كالنفاقِ والرياءِ والهوى والحقد والحسد والغل؛ وحينئذٍ يجد رمضان مدخلاً مباركاً ومنزلاً كريماً في قلبه.

ومن كان هذا شأنه، فإنه يتهيأ لرمضان بالتوبة والاستغفار؛ لأنه يعلم أن الذنوب تحول بين العبد وبين التوفيق إلى الطاعة، فيتوب إلى الله جلَّ وعلا توبة نصوحاً صادقة، يصحبها الندم على ما فرّط في جنب الله، دون إصرار على الذنب أو عزم على العودة إليه، مع رد الحقوق إلى أصحابها.

وهكذا ينزل رمضان من قلبه حيث هو أهل له، ويكرمه غاية الإكرام، ويتفاءل بمقدمه، ويستقبله بحفاوة وبشاشة وطلاقة وجه، ويصوم رمضان بمعناه الشامل الذي يعني صيام القلب والجوارح عن كل ما يغضب الله؛ فيكون جزاؤه أن يظفر ببركات هذا الشهر الكريم، ويوفَّق فيه إلى الصيام والقيام والعمل الصالح، ويحظى بجوائزه القيمة، على رأسها تحقيق تقوى الله جل وعلا، وتحصيل الأجور والدرجات العُلى في الجنة، والنجاة من النار ومن غضب الجبار سبحانه، مصداقاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (إذا

كان أول ليلة من شهر رمضان صُفِّدت الشياطين مردة الجن، وغُلِّقت أبواب النار فلم يُفتح منها باب، وفُتِّحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب، ويُنادي منادٍ: يا باغي الخير أقبل، يا باغي الشر أقصر. ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة)[1].

وفي الطرف الآخر، هناك من لا يبذل جهداً في إفراغ قلبه من التعلق بسوى الله جلّ وعلا، من الأنداد والشركاء، ولا يجتهد في تنقيته من الشوائب والأمراض، فيظل أسيراً للهوى، وحب الدنيا، وطول الأمل، والتعلق بالمخلوق، ويبقى سجيناً للأحقاد، والشبهات، والشهوات.

ومثل هذا النوع لا يجد منزلاً يُنزل فيه رمضان سوى بطنه؛ لأنه اختزل معنى الصوم في الحرمان من الجوع والعطش والشهوة، دون التفكر في مقاصد هذا الشهر العظيمة ومعانيه، فإذا اقترب رمضان تشاءم واشمأز، وأسرع إلى أطايب الأكل والشرب، فانهال عليها كأنه مقبل على سفر لا زاد فيه ولا معين! وربما قارف المحرمات والمنكرات؛ ظناً منه أنه سوف يعوِّض بذلك ما سيفوِّته أيام الصيام! فإذا أقبل رمضان صام عن الأكل والشرب، ولم يصم قلبه وجوارحه عن معصية الله جل وعلا، وأضاع وقته في مشاهدة وسماع وفعل ما يغضب الله تعالى، وتعامل مع رمضان باعتباره ضيفاً ثقيلاً يجب الانشغال عنه بما يكسر الملل ويجلب البهجة، وإن كان ذلك بالمحرمات!

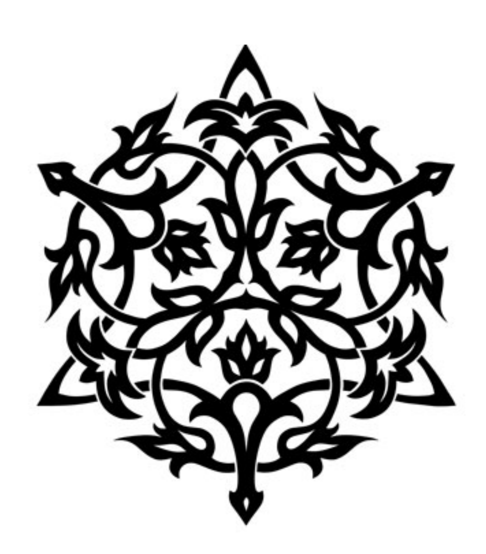
فكان جزاءً وفاقاً لمثله أن يُحرم من مِنح هذا الشهر ومكافآته، فيخرج منه خالي الوفاض، إن لم يخرج بمضاعفة الذنوب والمعاصي، ليصدق فيه قول النبي عليه الصلاة والسلام: (رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش)[2]، وقوله عليه الصلاة والسلام: (رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)[3].

إذن ما دام العمر قصيراً والفرص محدودة، فعلى المسلم أن يختار بين الاثنين: بين أن يُنزل رمضان المنزل الذي يليق به في قلبه؛ فيقطف

١- رواه الترمذي (٦٨٢)، صحيح الجامع (٧٥٩).
٢- رواه ابن ماجه (١٩٦٠) وحسنه الألباني في المشكاة (٢٠١٤).
٣- رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

الثمار اليانعة، ويفوز بالعطايا الجزيلة، وبين أن يُنزله في بطنه، فيخرج منه بالخذلان والحسرة والندامة.

عليه أن يختار؛ فلعله لا يدرك رمضان بعد عامه هذا، مثل كثيرين حال الموت بينهم وبين رمضان الحالي!



رمضان فاجأنا..!!

■■■

عبارة (رمضان فاجأنا) التي يطلقها البعض عند اقتراب شهر رمضان المبارك من أدلِّ العبارات على ضعف استعداد الكثيرين لهذا الشهر الفضيل.

إذا عقدنا مقارنة بين حالنا وحال سلفنا الصالح مع رمضان لأدركنا الفرق الشاسع، فقد كان السلف رضوان الله عليهم يسألون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، فإذا جاء اجتهدوا فيه في العبادة ما لا يجتهدون في غيره، وبذلوا وسعهم في التقرب إلى الله تعالى بسائر أعمال الخير من بر بالوالدين، وإحسان إلى الأقارب، وصلة للأرحام، وصدقة على الفقير والمحتاج، فإذا صاموه سألوا الله خمسة أشهر أن يتقبل منهم رمضان؛ وهكذا كان تعلق قلوبهم بهذا الشهر الذي أدركوا فضائله العظيمة وبركاته الجمة، حتى كادت سائر أيامهم تكون رمضان.

(رمضان فاجأنا) مؤشر على ضعف الاستعداد الروحي والتهيؤ النفسي، وهي أيضاً دليل على أن كثيراً منا قصَر الاستعداد لشهر رمضان على الناحية المادية من مأكولات وأطعمة ومشروبات، يصل فيها البعض إلى حد المغالاة المنبوذة والإسراف المذموم، فتجد أمثال هؤلاء يولون عنايتهم للتزود من الأكل والشرب، حتى يكاد ينقطع النفس ببعضهم من فرط التخمة، وكأنهم يريدون الانتقام للجوع والعطش اللذين كانا حظهم من الصيام، حتى يصير الشهر مشروعاً للسِمَن والبدانة، فتغيب فيه معاني التربية والتزكية وترويض النفس على فعل الطاعات وترك المنكرات.

ولا ننكر أهمية الاستعداد المادي، لكن الإشكال يكمن في جعله الهمَّ الشاغل، في حين يُغَض الطرف عن الاستعداد الروحي الذي ينبغي أن يكون

الأساس، بينما يجب أن يعتبر الجانب المادي مكملاً وداعماً له.

صحيح، أن سرعة انقضاء الأيام صارت أمراً ملحوظاً للجميع، ولكن هذا لا يبرر الادعاء بأن رمضان قد فاجأنا، فهو لا يبغت ويفاجئ إلا من كان لصيقاً بالدنيا، غافلاً عن ذكر الله تعالى، بعيداً عن انتهاز المواسم الفاضلة والتعرض لنفحات الله، علّه تصيبه نفحة لا يشقى بعدها أبداً.

والذين يفاجئهم رمضان في العادة هم الذين يحاولون تخفيف صدمة هذه المفاجأة بإهدار أيام الشهر الغالية في مشاهدة المسلسلات، والتسالي، والفوازير، واللعب، واللهو، وحل الكلمات المتقاطعة، وكل ما يصرفهم عن المعاني الجوهرية لهذا الشهر المبارك، فلا يصيبون من هذا الشهر الكريم سوى الجوع والعطش، ورب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش كما في الحديث الشريف.

وأما الذين يدركون قيمة هذا الشهر الحقيقية، فهم الذين جعلوه فرصة للتوبة من الذنوب، والاستقامة على الطاعة، والاستزادة من الحسنات، والعلو في الدرجات، وسانحة لترويض النفس على الصبر وترك العادات المضرة، وتعويدها على حب الإنفاق وبذل الخير للناس، وتدريبها على رحمة الضعفاء والمساكين.

رمضان ليس شهر تعذيب وإيلام، بل هو شهر ترويض للنفس، وسمو بالروح، وتعلق بالدار الآخرة، واحتساب للأجر والثواب من الله تعالى، فطُوبى لمن صام نهاره، وقام ليله، وقضى سائر أيامه في طاعة الله تعالى، والتقرب إليه بالنوافل والأعمال الصالحة؛ فمثل هذا هو من يتقبل الله منه قبولاً حسناً، ويوفقه إلى الاستقامة على الطاعة بعد رمضان، أما من اتبع هواه في رمضان، ولم يخرج منه بشيء غير الإحجام عن الطعام والشراب، فسرعان ما ينتكس بعد رمضان، ويعود إلى ما كان عليه من اتباع الهوى، ومقارفة الشهوات، وفي الحديث (وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ

يُغْفَـرَ لَـهُ)[١].

فهنيئـاً لمن صام هذا الشهر وقامه إيماناً واحتسـاباً، واعتبر الشهر آخر شـهر في حياتـه؛ فلعلـه قد يكون في العـام القـادم في عِداد الأموات الذيـن يُهال عليهـم الثـرى ليبلغـوا أول منـزل مـن منـازل الآخـرة.



١- رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

كيف نتهيأ لرمضان؟

■■■

إذا كنا بصدد استقبال ضيف رفيع المستوى، أو مقبلين على مناسبة مهمة، فإننا نعد العدة لذلك، بأن ننظف مكان الاستقبال ونجمِّله، وننشر فيه أجمل العطور وأعذب الروائح، ونستخرج أغلى ما عندنا من الأثاث والفرش والزينة.

هذا ما يحدث عادة عند استقبالنا لكبار الضيوف أو استعدادنا للمناسبات المهمة، فكيف إذا كان القادم ممن يجمعون بين عظم المكانة وأهمية المناسبة، إذا كان بقامة شهر رمضان المبارك الذي هو خير الشهور، وفيه ليلة هي خير الليالي، وشرَّفه الله تعالى بأن أنزل فيه كلامه وقرآنه، الشهر الذي يُعتق فيه الله جل وعلا رقاباً من النار لا يحصيهم إلا هو سبحانه، شهر فيه تُصفَّد الشياطين، وتُقبل فيه نفوس المؤمنين على الطاعة، وتُضاعف فيه الأجور والحسنات، موسم من مواسم الطاعة والعبادة والتوبة والإقبال على الله جل وعلا؛ فمن فاتته هذه الخيرات والبركات فهو محروم مخذول. وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشِّر أصحابه بمقدم هذا الشهر المبارك والضيف الكريم بقوله: (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)[1].

ويهتم كثير من المسلمين بالتهيئة المادية لشهر رمضان، فيقبلون على الأسواق؛ ليشتروا ما يحتاجونه من المؤن والأطعمة؛ حتى إن الأسعار ترتفع من شدة إقبال الناس على السلع والبضائع، وتكتظ المطاعم بروَّادها الذين يطلبون أشهى الأطعمة والمأكولات، فيملؤون بها بطونهم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، كأنهم مقبلون على سفر طويل، لا زاد فيه ولا طعام!

١- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

وليس معيباً أن يتهيأ المسلم لرمضان من الجوانب المادية، لكن ينبغي أن يكون ذلك دون إفراط يتجاوز حد الاعتدال إلى الإسراف والتبذير، ويصيب المسلم بالهلع الذي يدل على نقص الإيمان والفهم القاصر الذي يختزل معاني الصيام في الجوع والعطش. وفي الحديث: (رُبَّ صائم ليس له من صيامه إلاَّ الجوع)، وفي رواية: (رُبَّ صائمٍ حظُّه من صيامهِ الجوعُ والعطش)[1].

والتهيئة الحقيقية لرمضان ينبغي أن تكون تهيئة روحية ونفسية في المقام الأول، فتكون بدعاء الله عزَّ وجلَّ، وقد كان السلف رحمهم الله يدعون الله تبارك وتعالى أن يبلغهم رمضان، وأن يعينهم على صيامه وقيامه، وأن يتقبله منهم.

كما تكون التهيئة بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى والإنابة إليه؛ لأن الذنوب تحرم العبد من التوفيق إلى الطاعة، وتجلب عليه النِّقم.

وكما قال القائل:

رأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوب وقد يورث الذلَّ إدمانُها

وتركُ الذنوب حياةُ القلوبِ وخيرٌ لنفسكَ عصيانُها

إذن، نحن نحتاج إلى التهيئة الروحية قبل المادية، وإلى تهيئة الباطن قبل الظاهر؛ حتى نقبل على رمضان بقلب فارغ من سوى محبة الله جل وعلا، نقيٍّ من أمراض القلوب كالشرك والنفاق والرياء والحقد والحسد، فيدخل رمضان إلى قلوبنا بكل ترحاب وبشر؛ فيجدها قد هُيئت لاستقباله ووفادته، فيكرمنا كما أكرمناه، فنودعه بذنب مغفور، وعمل متقبل، وعتق من النيران بإذن الله تعالى.

١- رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة.

رمضان: مهرجان التسوق

■■■

ما هي سوى أيام قليلة ويظلنا شهر كريم، فيه من الامتيازات والعروض ما لا يوجد في غيره من الشهور، فهو موسم للمغفرة، والرحمة، والعتق من النيران، ومضاعفة الأجور والحسنات، تُفتح فيه أبواب الجنان فلا يُغلق منها باب، وتُغلق فيه أبواب النيران فلا يُفتح منها باب، ويُقيَّد فيه مردة الشياطين الذين يحولون بين المسلم وبين الطاعات والقربات.

رمضان مهرجان يجد الداخل إليه لافتة مكتوباً فيها حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي رواه الترمذي وصححه الألباني: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ)[1].

إنه مهرجان للتسوق في أيام معدودات، لا تتجاوز ساعاتها ٧٢٠ ساعة فقط، قد نضيِّع ثلثها في النوم؛ فمن استثمر تلك الساعات القليلة، وقدَّم بضاعته لله جلَّ وعلا من صيام، وقيام، وصدقة، وحسن خلق، وقراءة قرآن، وذكر، وطلب علم؛ وصلة رحم، وبر والدين، وإفطار صائم، واعتكاف، وزيارة مريض، وتشييع جنازة،... إلخ؛ خرج من هذا الشهر الكريم بأرباح طائلة، وجوائز ومنح لا تُحصى.

وفي المقابل، من أضاع تلك الساعات المباركة المعدودة في النوم واللعب واللهو والمعاصي، من إغراق في متابعة المسلسلات، والأفلام، والفوازير، وكرة

١- رواه الترمذي (٦٨٢)، صحيح الجامع (٧٥٩).

القدم، والأغاني، والمصارعات، ومجالس اللعب واللهو والغيبة والنميمة، وسوء الأخلاق من صخب ورفث وسخط، فقد باءت بضاعته بالكساد والبوار، وجرَّ على نفسه خسارة محققة، قد لا يتسنى له تعويضها مرة أخرى، فربما كان هذا الشهر هو آخر شهر يشهده على قيد الحياة، أو قد يشهده بصحة عليلة؛ فلا يُوفَّق لصيامه وقيامه.

إن العاقل الحصيف هو الذي لا يُفوِّت هذا الموسم العظيم وهذا المهرجان الضخم الذي قد لا يتكرر في حياته أبداً، فيجعله موسماً للتنافس في الاستزادة من الأجور والحسنات، وتكفير الذنوب والسيئات، والفوز بأعلى الدرجات. وفي الحديث: (قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك، فرض الله عليكم صيامه، فيه تُفتح أبواب الجنان، وتُغلق فيه أبواب الجحيم، وتُغلُّ فيه مردة الشياطين، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَ خيرها فقد حُرِم)[1].



١- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

رمضان:
نقطة تحول وموسم تغيير

■■■

رمضان فرصة سانحة لإحداث نقلة نوعية في حياة المسلم، وموسم للتغيير والتحوُّل؛ تحقيقاً للغاية التي فُرِض من أجلها الصيام، ألا وهي تقوى الله جلَّ وعلا.

أول هذه الفرص هي تقوية عقيدة التوحيد، وإخلاص النية لله سبحانه وتعالى؛ لأن الصيام عبادة لا يتخللها الرياء كما يتخلل سائر العبادات؛ لذا أضافه الله عز وجل لنفسه، وتكفل بجزائه بما لا يعلم مقداره إلا هو سبحانه، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه: (كُلُّ عَمَلِ ابنِ آدَمَ لَهُ إلا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي به)[1].

ومن الفرص الثمينة في هذا الشهر المبارك تحقيق الاستقامة على العبادة ومجاهدة النفس على الطاعة، بالمحافظة على الفرائض، والتقرب إلى الله جل وعلا بالنوافل، والاستمرار على ذلك بعد رمضان؛ حتى تصبح العبادات من صلاة وصيام وزكاة، ذات أثر فاعل في حياة المسلم وتوجُّهه، يؤديها برضا وتسليم وانقياد، وإيمان واحتساب؛ فتصير قرة عينه ومنتهى مشتهاه، كما في الحديث: (وجُعلت قرةُ عيني في الصلاة)[2]، قال أبو يزيد رحمه الله: (ما زلت أسوق نفسي إلى الله -تعالى- وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك) وكان ثابت البناني يقول: (جاهدت الصلاة عشرين سنة، ثم تلذذت

١- رواه البخاري (١٩٠٤).

٢- رواه النسائي (٣٩٣٩)، وصححه الحاكم (٢/ ١٧٤) ووافقه الذهبي.

بها عشرين سنة).

رمضان فرصة لا تُعوَّض للتحلي بسائر الأخلاق الحسنة، كالصبر والصدق والحلم والأناة والتواضع، والتخلي في المقابل عن سائر الأخلاق الذميمة، كالجزع والكذب والغش والكبر والحقد والحسد؛ لأن الصيام يهذِّب النفس البشرية ويُروِّضها، ويحملها على حسن الخلق وسماحة المعشر، وفي الحديث: (إنما العلم بالتعلم، وإنما الصبر بالتصبر، وإنما الحلم بالتحلم)[1].

رمضان فرصة للتحرر من أسْر العادات الضارة والمنافية للشرع، كتعاطي الدخان والمخدرات والتمباك، وغيرها من المواد التي تستعبد الإنسان وتجعله رهن أمرها ونهيها، وما دام المسلم قد صبر عن هذه المواد التي أثبت الطب ضررها البالغ بصحة الإنسان، ما دام قد صبر عنها طوال ساعات النهار، فهو بلا شك يستطيع أن يصبر عنها بقية يومه، بل سائر عُمُره لو عقد العزم الصادق على تركها، مستعيناً بالله جل وعلا، وطارحاً الوساوس والمخاوف التي تحول دون إتْباعه القولَ بالعمل، والنيةَ بالمثابرة والمجاهدة، قال تعالى: (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا)[2].

رمضان فرصة لمحاسبة النفس، وتجديد التوبة والاستغفار، فإن الذنوب تحول بين العبد والتوفيق إلى الطاعة، وتثبط همته عن كل خير ومعروف، كما قال الحسن البصري لمن شكا إليه عجزه عن القيام لصلاة الليل: (قيَّدتك ذنوبك).

إن الموفَّقين هم الذين يسارعون إلى اقتناص هذه الفرص القيمة والمنح الغالية التي تُقدَّم في شهر رمضان المبارك، ليصبح هذا الشهر الفضيل هو نقطة البداية الصحيحة في طريق التغيير نحو الجادة، ونقطة التحول المفصلية في سبيل الاستقامة على صراط الله المستقيم، استقامة حقيقية طابعها: المداومة، والمجاهدة، والصبر، والاحتساب.

١- رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢).
٢- [العنكبوت: ٦٩].

رمضان
بين دعاء جبريل وتأمين الرسول

■■■

حديث تقشعر له الأبدان، وترتجف له القلوب، ويعتبر به من تأمل فيه وكان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، إنه حديث يدعو فيه خير الملائكة، والروح الأمين، وروح القدس: جبريل عليه السلام، ويؤمِّن عليه خير البشر وخاتم المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين: نبيُّنا محمد صلى الله عليه وسلم.

جاء في هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم (رَقِي المنبر، فلمَّا رَقِي الدرجة الأولى قال: آمين، ثم رَقِي الثانية فقال: آمين، ثم رَقِي الثالثة فقال: آمين، فقالوا: يا رسول الله، سمعناك تقول: آمين ثلاث مرات؟ قال: لَمَّا رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل فقال: شَقِي عبدٌ أدرك رمضان فانسَلَخ منه ولم يُغفَر له، فقلت: آمين، ثم قال: شَقِي عبدٌ أدرك والدَيْه أو أحدَهما فلم يُدخِلاه الجنة، فقلت: آمين، ثم قال: شَقِي عبدٌ ذُكرتَ عنده ولم يصلِّ عليك، فقلت: آمين)[1].

وحديثٌ هذا شأنه أحرى بإجابة دعائه، ووقوع ما جاء فيه من وعيد ونكال؛ لأن الداعي والمؤمِّن مستجابا الدعوة؛ لعلو منزلتهما ورفعة مكانتهما.

إنَّ من دعا عليه خير الملائكة، وأمّن على دعائه خير البشر يستحق أن يُدعى عليه بلا شك؛ فهو شقي؛ لأنه فوَّت فرصاً ثمينة، ومنحاً جزيلة لا تُوجد في غير رمضان، وخاب وخسر حين لم تدركه بركات هذا الشهر، ولم يتعرض لنفحات الله جل وعلا فيه. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ

١- أخرجه ابن خُزَيمة، والبخاري في "الأدب المفرد"، وصحَّحه الألباني في «صحيح الترمذي».

أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)[1]. فمن فاتته هذه المكافآت السخية والعطايا الثمينة والفرص النادرة؛ فهو محروم مخذول، استحق الشقاء والعقاب.

فإن كان الأمر هكذا، فحريٌّ بالعاقل الكيِّس أن يُنزِل رمضان منزلته اللائقة به؛ فيشمِّر عن ساعد الجد، ويُجتهد في هذا الشهر ما لا يجتهد في غيره، ويقبل على الله جل وعلا إقبالاً صادقاً، راجياً أن يُكتَب عند الله تعالى من المتقبلين المعتوقين المرضيين، فطُوبى لمن لم يفوِّت السانحة الثمينة التي ربما إذا ذهبت فلن تعود أبداً.



١- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

لا تجعلوا صاده نوناً..!!

■■■

أعجبتني مقولة لأحد الدعاة عن شهرِ رمضان المبارك حين قال: (لا تجعلوا صاده نوناً)، أي لا تجعلوا الصوم نوماً؛ ليتحوَّل رمضان من شهر للعمل والمثابرة إلى شهر للكسل والخمول.

ويكفي شهر رمضان دليلاً على أنه شهر الجد والنشاط أن كثيراً من الفتوحات والمعارك والغزوات والملاحم الإسلامية الكبرى على مرِّ التاريخ قد وقعت فيه، وفي مقدمتها معركة بدر الكبرى، وفتح مكة، ومعركة القادسية، وفتح بلاد الأندلس، ومعركة عين جالوت، وموقعة حطين.

ويكفي أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يشد مئزره في العشر الأواخر من هذا الشهر، ويُحيي ليله، ويوقظ أهله، وكان أجود بالخير من الريح المرسلة.

وإذا نظرنا إلى حال الكثيرين نجد أنهم يقضون أغلب ساعات النهار في النوم، فمنهم من ينام في بيته حتى يفوِّت الصلاة تلو الصلاة، ومنهم من ينام في المسجد فلا يستيقظ إلا للصلاة! حتى باتت مشاهد النائمين في المساجد مما يشوِّه صورة رمضان في الأذهان، ويُوحي بأنه شهر للنوم والخمول، وليس شهراً للعبادة والعمل.

وإذا كان شهر رمضان يمثل للبعض شهر نوم وخمول، فهو عند البعض شهر أكل وشرب، فتراهم يُقبلون على الأسواق فيُسرفون في شراء ما لذَّ وطاب مما يحتاجون إليه وما لا يحتاجون إليه، وكأنهم مقبلون على بيات شتوي، أو مسافرون سفراً طويلاً في أرض قاحلة جرداء!

وتراهم يقبلون على الإفطار، فيحشون بطونهم بالطعام حشواً، حتى لا يكادون يتركون فيها مجالاً للنفس، وكأنهم يريدون أن ينتقموا لجوعهم

وعطشهم، دون استحضار لمعاني الصبر والاحتساب التي تلازم الصوم، ولا أدلَّ على كثرة هذا الصنف من الناس مما نراه في أول أيام رمضان من امتلاء المستشفيات بالمصابين بعسر الهضم والتخمة!

ورمضان عند البعض شهر للعب والسمر، والفوازير والمسابقات، ومشاهدة المسلسلات والأفلام والمصارعة وكرة القدم، واستماع الأغاني والنكات؛ فيسهر مع اللهو حتى الساعات الأولى من الليل، ثم ينام سائر نهاره!

إنَّ من يجعل من رمضان شهراً للكسل والنوم، أو شهراً للأكل والشرب، أو شهراً للعب والتسلية، أو يجمع بين كل هذه الأشياء؛ هو شخص قد أفرغ رمضان من محتواه، ونظر إلى جانب الجوع والعطش، بينما غابت عنه معاني التقوى والصبر والإيمان والاحتساب التي تمثِّل غاية هذا الشهر وتميِّزه عن غيره من الشهور.

هو شخص مرّ عليه رمضان كغيره من الشهور، فلم يستزد فيه من الحسنات، بل ربما باء بالسيئات والذنوب. وفشل في تنمية خصال الصبر والاحتساب، بل ربما أوشك صبره واحتسابه على النفاد؛ ولم يرفع مناسيب الإيمان والتقوى، بل ربما نقص إيمانه وقلت تقواه، ولم يرتقِ بسلوكه وأخلاقه، بل ربما شان سلوكه وساءت أخلاقه!

لكنني أعود لأقول إن من أساء في رمضانات سالفة ما زالت الفرصة سانحة له في هذا الشهر ليعوّض ما فاته من قبل، وليفتح صفحة جديدة مع الله عزَّ وجلَّ، فيتوب إليه سبحانه؛ فلعل الله الجواد الكريم يبدل سيئاته حسنات.

إن أفضل ما نستقبل به رمضان هو التوبة والاستغفار وعقد العزم على الإكثار من الطاعات والقربات؛ فلعله يكتب لنا في هذا الشهر المبارك تكفير السيئات ورفع الدرجات والعتق من النيران، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)[1].

١- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

صفحة جديدة مع القرآن في رمضان

■■■

ما إن يدخل شهر رمضان المبارك حتى يلتفت الكثيرون إلى المصاحف، ويزيلون ما علاها من غبار من فرط الهجر والإهمال، ومن ثم يقبلون عليها تلاوة وترتيلاً.

وأمر طيب أن يقبل المسلم في رمضان على القرآن الذي فيه الهدى والشفاء والبركة، ولكن الأطيب من ذلك أن يكون هذا ديدنه في رمضان وفي غيره من الشهور؛ حتى يلقى الله جلّ وعلا، لقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾[2]، وقول رسوله عليه الصلاة والسلام: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ)[3].

وجميل أن نقرأ القرآن الكريم؛ لما في ذلك من أجر عظيم ذكره النبي عليه الصلاة والسلام في قوله: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ)[4]، ولكن الأجمل من ذلك أن تكون هذه القراءةُ قراءةً صحيحة، فنتعلم القرآن دون استحياء أو تكبر، ونحن نستحضر الأجر والمثوبة في تعلم القرآن الوارد في الحديث: (خيركم من تعلّم القرآن وعلّمه)[5]، ونعلم أن الأجر يزداد

١- [ص: ٢٩].
٢- [الإسراء: ٩].
٣- رواه مسلم (١٢١٨).
٤- رواه الترمذي (٢٩١٠).
٥- رواه البخاري (٤٧٣٩).

إن كان مع القراءة مشقة لقوله عليه الصلاة والسلام: (وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أَجْرَانِ)[1]، أي أجر القراءة وأجر المجاهدة، فإذا أتقنا القراءة كنا مع السفرة الكرام البررة كما في نفس الحديث: (الْمَاهِرُ بِالْقُرْآنِ مَعَ السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ).

وحسَنٌ أن نتلو القرآن، ونكثر من قراءته، وأن نختمه عدة مرات - خاصة في شهر رمضان شهر القرآن - ولكن الأحسن من ذلك أن نتدبره، ونتفكر فيه، ونعتبر به، ونعمل بما جاء فيه من أوامر ونواهٍ، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[2]، جاء في تفسير ابن كثير رحمه الله: (يقول تعالى آمراً بتدبر القرآن وتفهمه، وناهياً عن الإعراض عنه، فقال: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) أي: بل على قلوب أقفالها، فهي مُطْبِقة لا يَخلُص إليها شيء من معانيه).

إذن؛ فليكن رمضان بداية لفتح صفحة جديدة مع القرآن، نُوثِّق فيها العلاقة مع كتاب الله جلَّ وعلا؛ حتى يكون بالنسبة إلينا هادياً، ومرشداً، وشافياً، ومنهاج حياة، ودستور أمة.



١- رواه مسلم (٧٩٨).
٢- [محمد ٢٤].

القرآن في رمضان: جرد حساب..!!

■■■

ما إن يهل شهر رمضان المبارك، حى يبدأ كثير من الناس في البحث عن المصاحف التي أداروا لها ظهورهم طوال العام المنصرم في غمرة انشغالهم بالدنيا، ولهثهم خلف متطلبات الحياة التي لا تنتهي!

وما إن يجد هؤلاء المصاحف حتى يزيحوا عنها الغبار الذي علاها من فرط الهجران، ويبدؤوا مشواراً يستغرق شهراً كاملاً، يصحبون فيه القرآن الكريم، ولكن مما يؤسف له أن هذه الصحبة تفتقر إلى كثير من الجوانب!

بعض هؤلاء يقرأ القرآن كما يقرأ كتب المطالعة، أو يتصفح أخباراً في صحيفة يومية، فتغيب عنه معاني التدبر والتفكر والاعتبار؛ فلا يقف عند معاني الآيات، ولا يسأل عن أسباب النزول، ولا يبحث عما استشكل عليه من الألفاظ!

وبعضهم قد يتلو القرآن بصوت حسن جميل، ويُتقن تجويده وترتيله، ولكنه ينشغل بإخراج كل حرف من مخرجه الصحيح، وإعطائه حقه ومستحقه، دون أن يستحضر ما جاء فيه من المواعظ والأحكام والإعجاز!

وبعضهم يعتني بكثرة القراءة، فيصل الليل بالنهار، لا همَّ له سوى أن يختم القرآن عدة مرات، ثم يقول للناس: (ختمت القرآن كذا مرة)! فيهتم بالكم، وينسى الكيف؛ ويُعنى بالظاهر، ويغفل الباطن!

ويركِّز البعض في صلاة التراويح على الإمام الذي يقرأ القرآن بأقصر الآيات في أوجز الأوقات، وهم يتضجرون من كل إمام يقرأ بتأنٍّ وطمأنينة، فلسان حالهم يقول: (أرحنا منها يا فلان!)؛ حتى نرجع إلى ما كنا

فيه من أمور الدنيا التي شغلتنا وملأت قلوبنا، فلم يعد في هذه القلوب مجال للتدبر والتأمل حين أُوصدت بالأقفال، وأغلقت بحُجُب الشبهات والشهوات، قال تعالى: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[١]، وقد سمعت أحدهم يبرِّر ذات يوم تفضيله الصلاة خلف الإمام الذي لا يتجاوز آية واحدة في كل ركعة من ركعات التراويح على غيره، حيث قال: (الصلاة السريعة تهضم الطعام)! ومما يدعو للعجب أن أمثال هؤلاء لديهم جلد عجيب في الصبر على أماكن اللعب ومجالس اللهو، فيهدرون فيها الساعات الطوال دون تضجر أو تململ، حتى وإن اضطروا للوقوف والانتظار!

وبعض الناس يقصدون المساجد الشهيرة، المعروفة ببراعة بنائها، وحسن تأثيثها وتكييفها، وطيب روائحها، ورقي طبقة المصلين فيها، ونقاء صوت إمامها، ثم يباهي بين الناس بأنه صلى في المسجد الفلاني خلف الإمام الفلاني، بجزء كامل من القرآن، ولكن لا تكاد تجد للقرآن بصمة ملموسة في حياته، ولا تأثيراً إيجابياً في سلوكه! فكأنه لم يخرج من صلاته بغير المظاهر والأشكال، حين غابت عنه الجواهر والمضامين!

إن الإقبال الذي يجده القرآن الكريم في شهر رمضان كفيل بأن يغير حال الأمة، وينهض بها من كبوتها لتتخذ مكانها الريادي بين الأمم، باعتبارها خير أمة أخرجت للناس، ولكن لا يكون ذلك بالتعامل السطحي مع كلام الله جل وعلا، بل بجعله منهاجاً لحياتنا، ومصدر هداية وتشريع، لا مجرد كتاب للقراءة، وزينة من الزينات التي تُنقش على المساجد، وتُعلق في البيوت، وتُوضع لحفظ الأطفال من السحر والعين! ويكفي في ذلك قول الله تعالى: (إِنَّ هذا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)[٢] وقوله تعالى: (مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ)[٣]، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: (وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، كِتَابُ اللهِ)[٤].

١- [محمد: ٢٤].
٢- [الإسراء: ٩].
٣- [الأنعام: ٣٨]
٤- رواه مسلم (١٢١٨).

رمضان: ٧٢٠ ساعة فقط..!!

■■■

ذكر أحد الدعاة في معرض حديثه عن أيام رمضان التي تنصرم سراعاً موقفاً طريفاً حدث من أحد المختلين عقلياً حين قال عقب إفطار أول يوم من أيام رمضان: الحمد لله؛ بقي على العيد تسعة وعشرون يوما فقط!

قال ذلك الداعية حفظه الله معلّقاً على الموقف: (لم أنتبه لما قاله ذلك المختلُّ عقلياً إلا حين قرأت تفسير قول الله تعالى: (أياماً معدودات)، فعلمت أن الله تعالى قال (معدودات) ولم يقل (معدودة) ليفيد معنى القلة، وليخفف على النفوس؛ حتى لاتشعر بثقل تكليف الصيام عليها. فقلت في نفسي: ومن عجب أن يوفق ذلك المختل عقلياً لهذا المعنى، بينما غفل عنه كثير من العقلاء!).

٧٢٠ ساعة فقط هي جملة ساعات شهر رمضان المبارك، يقضي الكثيرون - في العادة - ثلثها في النوم، بل من المؤسف أن يزيد الكثيرون ساعات النوم في رمضان حتى تصل إلى النصف، بل إلى الثلثين أحياناً، فتمتلئ المساجد والبيوت ومواقع العمل بالنائمين، ليتحول رمضان عند هؤلاء من شهر للعبادة والعمل إلى شهر للكسل والخمول!

وإذا كنا نقضي في المتوسط ثمانية ساعات يومياً في النوم في هذا الشهر الفضيل، فإن هناك أربع ساعات على الأقل نقضيهما في الأكل والشرب وقضاء الحاجة والمواصلات، وغيرها من الشواغل! وهذا يعني أننا نهدر ما يقارب نصف ساعات هذا الشهر، لتتبقى لنا ٣٦٠ ساعة فقط!

والعجيب أن الزمن عند الجميع هو نفس الزمن، لكن يتفاوت الناس في حجم الاستفادة منه تفاوتاً عظيماً، فقد تجد شاباً في الثلاثين من عمره استفاد من الزمن ما لم يستفده شيخ في السبعين من عمره، ولعل ذلك مصداق لقول النبي صلى الله عليه وسلم: (نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ

النَّـاسِ: الصِّحَّـةُ وَالْفَـرَاغُ)[1].

قـال ابـن الجـوزي: (قـد يكـون الإنسـان صحيحـاً ولا يكـون متفرغـاً لشغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتمام ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملهما في معصية الله فهو المغبون، لأن الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم، ولو لم يكن إلا الهرم كما قيل:

يسر الفتى طول السلامة والبقا فكيف ترى طول السلامة يفعلُ

يرد الفتى بعد اعتـدال وصحـة ينـوء إذا رام القيـام ويحمـلُ

وقالَ ابن بطّال: (معنىِ الحديث: أنَّ المرء لا يكونُ فارغًا حتَّىٰ يكونُ مكفياً صحيحِ البدن، فمَنْ حصلَ لهُ ذٰلك فليحرص علىٰ أنْ لا يُغبَن بأنْ يترك شكر الله علىٰ ما أنعم به عليه، ومِنْ شُكره: امْتثال أوامره، واجْتناب نواهيه، فمَنْ فرطَ في ذٰلك فهوَ المغبون)[2].

ثم إن الجميع يتفقون على أن الشهور والأيام تنقضي أسرع من ذي قبل، وهي علامة من علامات الساعة كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام.

إذاً، نحن في صراع مع الزمن؛ لذا علينا أن نبادر فنستثمر كل لحظة من لحظات هذا الشهر، وإن الفرصة ما زالت سانحة لتصحيح المسار والاستقامة على الطاعة وإحداث التغيير المنشود، بتحقيق التقوى ومن ثم الفوز بالعتق من النيران، ولعلها تكون الفرصة الأخيرة؛ فلربما كان هذا الشهر هو آخر شهر نشهده على قيد الحياة، ولنضعِ نصب أعيننا وصية النبي عليه الصلاة والسلام قبل فوات الأوان: (اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناءك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك)[3].

١- رواه البخاري (٦٤١٢).

٢- فتح الباري (١١/٢٣٠)

٣- صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٥٥).

احذر قُطَّاع الطريق في رمضان

■■■

إن كانت شياطين الجن قد قُيِّدت في شهر رمضان المبارك، فإن شياطين الإنس ما زالوا أحراراً طلقاء، يقطعون طريق الهداية بألوانٍ من الشبهات والشهوات، ويكدرون صفاء الطاعة بأصناف من المغريات والملهيات.

ولا يهدأ لهؤلاء بال حتى يُفْرِغوا الشهر الكريم من محتواه؛ ليَخرُج من استجاب لهم من رمضان صفْرَ اليدين، ليس له من صومه إلا الجوع والعطش.

المسلسلات التي لا تخلو من مشاهد تغتال الحياء، والأغاني التي لا تفارقها الخلاعة والمجون، والفوازير التي لا تحيد عن المياعة والسُّخف، والألعاب التي لا تسلم من الإسفاف والإسراف؛ هي بعض الأسلحة التي يُجابِه بها قطاع الطريق ضحاياهم في الشهر الفضيل، ويجذبون بها ضعاف النفوس الذين قصَروا معنى الصوم على الامتناع عن الأكل والشرب و(رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ حَظٌّ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ)[1] كما قال رسول الله صلىً الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن ماجة بسند صحيح.

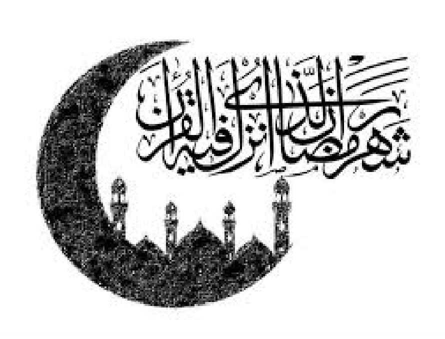
ويصوِّر قُطَّاع الطريق الذين ينشطون منذ وقت طويل لتحقيق مآربهم بمجرد انتهاء رمضان الماضي استعداداً لرمضان الحالي، يصوِّرون الشهر الكريم ضيفاً ثقيل الظل يكتم على الأنفاس ويكبل الحريات، لا بد أن ينشغل الواحد عنه بالملهيات والمصارف والمغريات؛ حتى يمضي إلى حال سبيله غير مأسوف عليه!

وما يدعو للاستغراب أن شياطين الإنس ينشطون في مواسم الطاعات أكثر من غيرها، كأنهم يحسدون الناس على التقوى والاستقامة والإنابة!

١- رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

إنها أيام معدودات، لا تتجاوز ٧٢٠ ساعة كما يقول أهل الحساب، وكل ما يُعَدُّ يمكن أن يُدْرَك، ولكنها أيام قد تمضي بلا رجعة؛ فمن استثمرها في عبادة الله، وقاوم قُطَّاع الطريق بسلاح الإيمان والتقوى فقد ربح تجارة لن تبور، وخرج بمكافآت جليلة ومنح عظيمة، منها العتق من النيران، والفوز بأعلى الجنان، ومغفرة السيئات، ومرضاة رب الأرض والسماوات.

أما من استجاب لقُطَّاع الطريق، واستسلم لهم دون مقاومة تُذكر؛ فقد خرج من الشهر المبارك بزيادة السيئات، وتضييع الحسنات، لا يملك سوى خُفَي حنين، ولا يحمل غير الخيبة والحسرة، لذا كان مستحقاً بجدارة دعاء جبريل خير الملائكة الذي أمَّنَ عليه النبي عليه الصلاة والسلام خير البشر: (رَغِمَ أَنْفُ عَبْدٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ لَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَقُلْتُ: آمِينَ)[1].



١- رواه مسلم (٢٥٥٢).

القنوات الفضائية تنوب عن الشياطين في رمضان..!!

■■■

إذا كان رمضان هو شهرٌ تُفتّح فيه أبواب الجنان، وتُصفّد فيه مردة الشياطين، فإن شيطان القنوات الفضائية هو شيطان من نوع آخر، لم تُجدِ معه خصوصية الشهر وأهميته في التقرب إلى الله بالذكر والدعاء والتضرع لنيل الجائزة الكبرى، ألا وهي العتق من النيران.

القنوات الفضائية أبت إلا أن تعيد تعريف المنافسة في رمضان، لتتحول من منافسة في العبادة إلى منافسة في التسلية واللهو، فطفقت تبث في أثيرها كلَّ ما من شأنه أن يصدّ الناس عن طاعة الله، ويشغلهم عن ذكره، من أغانٍ ماجنة، ودراما فارغة، وفوازير تافهة، ومسابقات سطحية!

وهكذا تتبارى القنوات – إلا من رحم الله – في تزيين المنكرات وتجميل الباطل؛ لتصبح بذلك خير من ينوب عن الشياطين في غيبتهم أثناء شهر رمضان! فإن كان شياطين الجن يخنسون ويختفون، فإن شياطين الإنس يظلون بيننا، لا يهمهم سوى مصالحهم، وإن كانت على حساب القيم والمبادىء!

ومما يؤسف له أن هذه القنوات تجد من يرعاها وينفق عليها بسخاء؛ بغية الشهرة والكسب الرخيص، وكأنهم لا يعرفون أن هذه الأموال التي ينفقونها في الباطل ستكون عليهم حسرة وندامة يوم القيامة، وأنه لن تزول أقدامهم حتى يُسألوا عن كل قرش منها!

إن الأموال الطائلة التي تُدفع على البرامج المائعة التي تؤذي بها هذه القنوات أبصارنا وأسماعنا وعقولنا وأحاسيسنا، كان من باب أولى أن تنفق

علىٍ برامج هادفة تغذي أرواحنا وعقولنا، وتعيننا على بناء الفرد والمجتمع، بدلاً من إنتاج العُري والتسطيح والمجون!

وهذه الأموال التي تُنفق على الراقصات المتكسرات، والممثلات الكاسيات العاريات، والمطربات المتهتكات، كان أولى بها أن تُنفق على الفقراء الذين تضيق بهم بلاد المسلمين، وعلى مشاريع التنمية البشرية والاقتصادية التي تَبني العقول وتَسُد الحاجات.

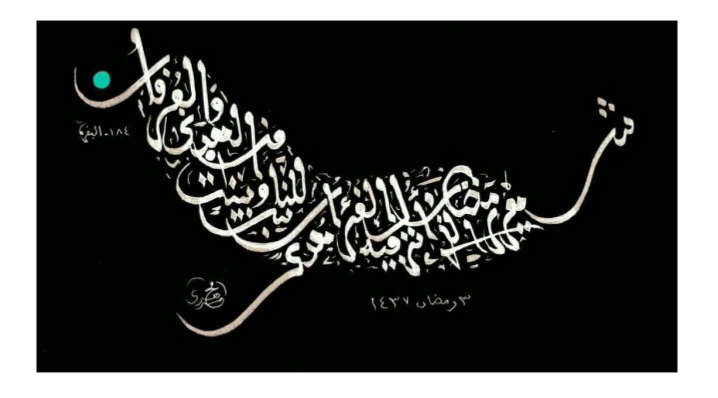
إننا إذا أردنا أن نحارب هذه القنوات التي أصبحت معاول تهدم أخلاق مجتمعنا وقيمه، لا بد لنا أن نبدأ بأنفسنا، ومن ثم أسرنا، ومجتمعاتنا؛ باتخاذ خطوات حازمة تجاه هذه القنوات، ومقاطعة ما تقدِّمه من برامج، والتوقف عن دعمها بأي شكل من الأشكال؛ حتى تُضطَر في آخر الأمر أن تعيد النظر في برامجها وتعمد إلى تعديلها بما لا يتلافى مع قيمنا والأخلاق التي جاء بها ديننا الحنيف، ولتكن بداية مقاطعة هذه القنوات في هذا الشهر المبارك.

وإذا قال قائل إن هذه القنوات تخاطب غير المسلمين كما تخاطب المسلمين، فإننا نقول إن كثيراً مما يُعرض في هذه القنوات يتعارض مع كل الأديان السماوية غير المحرفة، وليس مع الإسلام فحسب، كما أن أغلب مشاهدي القنوات التي نعنيها بمقالنا هذا من المسلمين، وهذا ما لا ينكره أحد.

كما لا بد لنا من إيجاد بدائل قوية لهذه القنوات بتبني قنوات هادفة تقدم برامج مدروسة، تُستخدم فيها أعلى التقنيات، وتُطبَّق فيها أفضل المنهجيات العلمية والمهنيات الإعلامية؛ لتستطيع سحب البساط من القنوات المترهلة المتفسخة التي ملأت الساحة. وقد بدأت بالفعل قنوات هادفة في الظهور على السطح، ولكنها تحتاج منا إلى الدعم والمساندة بما نستطيع، فنسأل الله لها التوفيق والسداد.

وما لم نتدارك الأمر ونحدّ من توسع هذه القنوات الفضائية الماجنة، فسنجد أنفسنا في نهاية المطاف أمام مجتمع متفكك الأوصال، فاقد لهويته، مفرِّط في عبادته - في رمضان وغيره - لم يأخذ من الغرب الذي تحاول هذه

القنوات تقليده إلا الجانب المظلم القاتم؛ فليته أخذ قيم العدل والانضباط وحب العمل والابتكار، عوضاً عن الرقص والطرب والعُري والتفاهة!



الإعلام في رمضان:
القنوات الفضائية نموذجاً!

■■■

إذا كان سلفنا الصالح رضوان الله عليهم يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه بقية شهور السنة أن يتقبل منهم الصيام والقيام، فإن القنوات الفضائية تعد العدة لرمضان القادم بمجرد انتهاء رمضان الحالي!

قائمة طويلة من المسلسلات، والأفلام، والأغاني، والفوازير، والمباريات، تحوّل رمضان من شهر للرحمة والمغفرة إلى شهر للّهو والمجون، وتحوّل الصائمَ من صائم صابر محتسب إلى صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش!

فالصائم يبدأ يومه في رمضان مع القنوات الفضائية بالنوم عن صلاة الفجر في جماعة، حيث يُنادَى بها في المساجد، بعد سهر طويل في تقليب القنوات الفضائية حتى الساعات الأولى من الفجر!

ثم ينام بعدها ليستيقظ بعد شروق الشمس، فيصلي صلاة متعجل ينقر الصلاة نقر الغراب للدم، مشغولاً بما رأى في الشاشة من مشاهد ومواقف تئد الحياء، وتُفسد القلب!

فإن كان له عمل ذهب إليه وقد طُبع على قلبه ما رأى في تلك الشاشات، وإن لم يكن له عمل واصل يومه بين تقليب القنوات والنوم ومجالس اللعب والغفلة، إلى أن يفطر!

والعجيب أن هذه القنوات تركز على الوقت الذي يُستجاب فيه

الدعاء بعد الإفطار مباشرة، إذ تجعله وقتاً للضحك والطرب، فيفوّت الصائم على نفسه بذلك دعوة لا تُرد!

إن القنوات الفضائية - باستثناء الهادفة منها - تختزل مفهوم الصيام في صيام الجوع والعطش؛ ليغيب صيام الجوارح، وتختفي معاني الصبر والتقوى والاحتساب، وتصوِّر بذلك رمضان ضيفاً ثقيل الظل لا بد من بذل الأسباب للتشاغل والالتهاء عنه!

وإذا كان مردة الشياطين من الجن قد صُفِّدوا في رمضان، فإن مردة شياطين الإنس القائمين على هذه القنوات ما زالوا أحراراً طلقاء، يُعْمِلون معاولهم في هدم القيم والأخلاق، وتفريغ رمضان من محتواه الإيماني؛ ليصبح المشاهد أسيراً لها، راغباً في الشهوات، عاجزاً عن الخير؛ فينسلخ رمضان وقد خرج منه بحصيلة وافرة من السيئات، في مقابل بضاعة شحيحة من الحسنات؛ فيُخشى أن يكتب من الأشقياء حين ينطبق عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: (جاءني جبريل عليه السلام، فقال: شقي عبد أدرك رمضان، فانسلخ منه ولم يغفر له، فقلت: آمين)[1].

وإن كان ثمة ما نختم به هذا المقال، فهو ثلاث وصايا، إحداها للصائم، والثانية للقنوات الفضائية، والثالثة للدعاة والمصلحين.

أما وصيتنا للصائم:

فإننا نقول له: إن رمضان فرصة قد لا تُعوّض أبداً للعتق من النيران والفوز بجنة الرضوان، فكم من صائمين معنا في العام الماضي وهم اليوم تحت أطباق الثرى؛ فـ(العاقل من اتعظ بغيره، ودان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني).

ووصيتنا للقائمين على أمر القنوات الفضائية:

أن يتقوا الله عزَّ وجلَّ في المشاهدين، وأن لا يبيعوا دينهم بعرض زائل وربح لا يدوم، فلينشروا عبر هذه القنوات الفضيلة والخير؛ حتى يفوزوا

١- صحيح الترغيب (١٦٧٩).

بأجري الدنيا والآخرة، وتكون هذه القنوات صدقة جارية لهم، بدلاً من نشر الرذائل والصوارف عن دين الله جلَّ وعلا؛ فيحملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ممن أضلوهم، وليذكروا وعيده سبحانه وتعالى حين يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1].

ووصيتنا للدعاة والمصلحين:

أن يدخلوا حقل الإعلام بقوة، فينشئوا مزيداً من القنوات الهادفة، مصطحبين معهم التخطيط والتجويد، وأن يستعينوا بأحدث وسائل الإعلام وأساليبه؛ ليعرضوا بضاعتهم في أبهى الصور وأروع الحُلَل المباحة، وليثقوا أن بضاعتهم رائجة لن تبور عند الله في مقابل البضاعة المزجاة للقنوات الفضائية الفارغة التي تعرض غثاءها في ثوب زاهٍ، ظاهره الرحمة وباطنه العذاب، وعليهم أن يستحضروا قول الله جلَّ وعلا: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[2].



١- [النور: ١٩].
٢- [الرعد: ١٧].

حسن الخلق في رمضان

■■■

في مواقف المواصلات والحافلات العامة، وعند التقاطعات وإشارات المرور، يُبدي البعض تذمرهم وتأففهم عند تأخر الحافلات، ويتبادل بعض السائقين عبارات السباب حين يقطع بعضهم طريق البعض، ويضيق البعض ذرعاً بشدة الحر وانقطاع الكهرباء، ويستشيط بعض الآباء والأمهات غضباً حين يبدر أدنى تصرف خاطئ من الأبناء والبنات، وينسى هؤلاء وأولئك حرمة الشهر الفضيل وخصوصيته.

إن شهر رمضان المبارك هو الشهر الذي تسمو فيه أخلاق المسلم، وترتبط بمعاني الإيمان والاحتساب والصبر، ويُصبح حسن الخلق وترويض النفس وتهذيبها غاية من غاياته السامية، فليس الغرض من الجوع والعطش تعذيب النفس وإهانتها، بل تحقيق معاني التقوى التي ذكرها الله عز وجل في الآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1].

وما من شهر أوصى فيه الإسلام بحسن الخلق على نحو ما أوصى به في شهر رمضان؛ لأن من طبيعة النفس البشرية النفورَ والمقاومةَ حين تُحمَل على نظام لم تعهدْه، وحين تُلزم ببرنامج لم تألفْه؛ لذا جاءت وصايا النبي صلى الله عليه وسلم؛ لتؤكد أن الصيام لا يعني مجرد الجوع والعطش، بل يتعداه إلى حسن الخلق وتزكية النفس، فقد قال عليه الصلاة والسلام: (والصيام جُنَّة؛ فإذا كان يوم صوم أحدكم، فلا يرفث ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب من ريح المسك، للصائم فرحتان: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه)[2].

١- [البقرة: ١٥٣].

٢- متفق عليه.

وفي المقابل يؤكد النبي صلى الله عليه وسلم أن من لم تسمُ روحه ولم تَعْلُ نفسه ولم يحسن خلقه، لم يخرج من الصيام إلا بمجرد الجوع والعطش، ولم يكسب من القيام إلا السهر والنصب، ففي الحديث: (رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ، وَرُبَّ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ)[1]. ولم يترك النبي عليه الصلاة والسلام عذراً للذين يتعللون بأنهم جُبلوا على سوء الخلق، وأنهم لا يستطيعون تحسين أخلاقهم حين بيَّن أن حسن الخلق يمكن اكتسابه بالمجاهدة والتخلق، إذ قال: (إنما الحلم بالتحلم، وإنما العلم بالتعلم)[٢].

رمضان سانحة طيبة لا تُعوَّض للتحلي بأحسن الأخلاق وترويض النفس عليها؛ حتى يبلغ المسلم بحسن خلقه درجة الصائم القائم، فيكون من أحب الناس وأقربهم مجلساً للنبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، ولا غرو في ذلك فقد أتى بأثقل الأعمال في ميزان الحسنات يوم القيامة، ففي الحديث: (إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ)[٣]، وفي حديث: (إن من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلساً يومَ القيامة أحاسنُكم أخلاقاً)[٤]، وفي حديث آخر: (مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ)[٥].



١- رواه ابن ماجه (١٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

٢- رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢).

٣- رواه أبو داود (٤٧٩٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٠٨٢).

٤- رواه الترمذي (٢٠١٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٧٩١).

٥- رواه الترمذي (٢٠٠٢) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨٧٦).

ومع ذلك صائم..!!

■■■

أطلق بصري كما أشاء في الشوارع والأسواق وغيرها، وأشاهد ما يحلو لي في القنوات الفضائية ومواقع الإنترنت والتواصل الاجتماعي، ومع ذلك فأنا صائم!

أقول ما أشاء، ولا أتورع في حديثي عن الكذب والبهتان، والغيبة والنميمة، ولا أبالي بألفاظ الطعن واللعن، والفحش والبذاءة؛ ورغم ذلك فأنا صائم!

يضيق صدري، وتسوء أخلاقي في تعاملي مع الآخرين، وأنفجر عند أول هفوة تبدر من أحد، وأكيل له الشتائم والسباب، ولكني مع ذلك صائم!

أضيِّع الأوقات في النوم نهاراً، والسهر ليلاً، ومسامرة الأصحاب، ويمرُّ عليَّ ليل رمضان ونهاره دون محافظة على الصلوات، ودون استزادة من الذكر وقراءة القرآن، ودون إكثار من الطاعات والقربات، بيد أني صائم!

آكل أموال الناس بالباطل، وأحتال عليهم، وأغش من استطعت منهم، دون أن يطرف لي جفن أو يخفق لي قلب؛ غير أني صائم!

هذا لسان حال كثير من الصائمين للأسف - إلا من رحم الله - وهؤلاء لم يعرفوا من معاني الصيام إلا الجوع والعطش، وفات عليهم أن يدركوا جوهر الصوم وغايته المتمثلة في تحقيق التقوى التي هي الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والاستعداد ليوم الرحيل، قال الله جل وعلا: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال:

١- [البقرة: ١٥٣].

(رُبَّ صائم حظه من صيامه الجوع والعطش)[1].

وأخشى على أمثال هؤلاء أن يكونوا ممن ضيَّعوا فرصة غالية قد لا تُعوَّض أبداً؛ فيستحقوا الشقاء والخسران، ولات ساعةَ مندم، ولا سيما إذا حُرموا أجر ليلة القدر التي تعدل العبادة فيها ألف شهر أو يزيد، والتي قال عنها النبي عليه الصلاة والسلام: (لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)[2].



١- رواه ابن ماجه (١٩٦٠) وحسنه الألباني في المشكاة (٢٠١٤).

٢- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

كن جواداً في رمضان

■■■

ما أجمل أن نتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في جوده وكرمه في رمضان وفي سائر الشهور، فهو عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة، والنموذج الأسمى للبشرية جمعاء.

وقد جاء في الحديث الذي اعتبره بعض العلماء (قاعدة في الجود النبوي): (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجودَ الناس، كان أجود ما يكونُ في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريلُ يلقاه في كل ليلة من رمضان، فيُدارسه القرآن، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريلُ أجودُ بالخير مِن الريحِ المُرسَلة)[٣].

قال ابن حجر رحمه الله: (يعني إنه في الاسراع بالجود أسرع من الريح، وعبَّر بالمرسلة إشارة الى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه. وفي الحديث: (ما سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم -شيئا فقال لا)[٤][٥].

فالجود ليس قاصراً على المال كما يظن البعض، بل يشمل أوجه المعروف كافة، فهناك الجود بالعبادة، والجود بالعلم، والجود بحسن الخلق، والجود بالطعام، والجود بفضل الظهر، وغيرها من أنواع الجود التي تستعصي على الحصر.

فرمضان شهر الجود بالعبادة، من صلاة وقيام وذكر وتلاوة قرآن، ومن أعظم ما يُتقرب به إلى الله جلَّ وعلا في هذا الشهر تلاوة القرآن، ومدارسته، وتدبره، وتفسيره، وشرح معانيه؛ كما كان يفعل رسول الله

٣- رواه البخاري (٤٧٣٩).

٤- رواه البخاري (٣٢٧٤).

٥- فتح الباري (١/ ٣١).

صلى الله عليه وسلم حين يلقاه جبريل عليه السلام.

وهناك الجود بالعلم، فمن رزقه الله علماً أنفق منه، والعلم يزيد بكثرة الإنفاق والسخاء، ومن خير ما يتقرب به إلى الله جلَّ وعلا تعليم القرآن الكريم، ولو مقدار آية؛ كما كان يحث على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: (خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه)[1]، وقال عليه الصلاة والسلام: (بلغوا عني ولو آية)[2].

وهناك الجود بفضل الظهر الذي يحتاج إليه الكثيرون، خاصة في هذا الشهر الكريم حين يشتد حرُّ الشمس، ويصيب الناس من العناء والتعب الشيء الكثير؛ امتثالاً لقول النبي عليه الصلاة والسلام: (من كان معه فضلُ ظَهر؛ فليعد به على من لا ظَهر له، ومن كان له فضلٌ من زاد؛ فليعد به على من لا زاد له)[3].

ويُستحب في هذا الشهر الفضيل الجود بإفطار الصائمين لنيل الأجر المترتب على هذا العمل الصالح؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا)[4].

وليس من الجود زيادة أسعار السلع استغلالاً لحاجة الناس لشراء مستلزمات الشهر الفضيل، كما ليس من الجود زيادة أسعار المواصلات العامة وتذاكر الطيران، وغيرها من الخدمات التي يحتاج إليها المسلمون، بل الجود تخفيض أسعار السلع والخدمات، وأن تشرك الجيران وعابري السبيل في فطورك؛ وكل ذلك بمناسبة شهر كريم كان فيه قدوتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرم الناس، وأجودهم بالخير.

١- رواه البخاري (٤٧٣٩).

٢- رواه البخاري (٣٢٧٤).

٣- رواه مسلم (١٧٢(.

٤- رواه الترمذي (٨٠٧).

عادات الشعب السوداني في رمضان

■■■

اختصَّ الله سبحانه وتعالى الشعب السوداني بكثير من العادات الاجتماعية الطيبة التي تظهر جلياً في رمضان؛ مما يجعل من هذا الشهر المبارك موسماً للخير، وسانحة للتعاون على البر والتقوى.

في رمضان، تنشط الموائد الرمضانية التي تقيمها المنظمات والجمعيات الخيرية في المساجد والشوارع وأماكن التجمعات، وترتفع اللافتات التي تشير إلى وجود إفطار جماعي هنا أو هناك، ويقف البعض يدعون المارة للتفضل بتناول الإفطار، بينما يشير بعضهم إلى أصحاب السيارات بالتوقف؛ بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك حين يتصدون للسيارات المسرعة، معرضين أنفسهم للخطر، بالوقوف في منتصف شارع الإسفلت!

وتسود روح التكافل والتراحم بين الناس حين تنشط المنظمات والجمعيات الخيرية في تقديم السلات الرمضانية التي يحتاجها الصائمون، ويخصون بها الفقراء والمساكين وأسر الأرامل والأيتام، وحين يتبادل الجيران فيما بينهم الإهداءات، من سكر ودقيق وتمر،... إلخ.

ومن عادة الشعب السوداني أن يحمل ربُّ الأسرة إفطاره إلى الشارع، حيث يحضر سكان الحي موائدهم ويبسطون فُرُشهم في ملتقى الطرق وفي المساجد، فيأتيهم عابر السبيل والفقير والضيف، ويجلسون جميعاً في الأرض، يقدِّم بعضهم إلى بعض الطعام والشراب، ويُلِحُّون على المارة بمشاركتهم الإفطار، ولو بما يحلل فطرهم.

وفي المقابل، يعتبر الشخص الذي يفطر في بيته إما متكبراً، أو مفرطاً

في الأجر والثواب، أو انطوائياً ، فربما كان له عذر مقبول، فالإفطار داخل المنزل ما زال يعتبر - بحمد الله تعالى - من المظاهر الاجتماعية الشاذة في كثير من أحياء المدن، وفي القرى والأرياف.

وفي شهر رمضان، تظهر معاني الرحمة بالاهتمام بفضل الظهر، حيث يقف أصحاب السيارات لمن يشيرون إليهم، وقد تعاطفوا معهم وهم يرونهم يتصببون عرقاً تحت وهج الشمس اللافحة، عند تزاحم الناس على المواصلات التي تضيق بركابها، خاصة في أوقات الذروة؛ بل يقف البعض من تلقاء أنفسهم دون أن يشير إليهم أحد بالوقوف؛ رحمة بالصائمين، ورأفة بحالهم.

إن هذه العادات السمحة التي وهبها الله عزَّ وجلَّ أهل السودان، يمكن أن تصبح عبادات إذا استُحضرت فيها النية الخالصة لله سبحانه وتعالى، وابتُغي بها وجه الله، لا مجرد محاكاة للناس ودفع للحرج عن النفوس.

ما أجمل أن يتمثّل العاملون بالجمعيات والمنظمات الخيرية، وهم يقدمون الخير للناس، من إفطار الصائمين ومساعدة المحتاجين قول الله تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ)[1]، وقول النبي عليه الصلاة والسلام: (أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، وَلأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ لِي فِي حَاجَةٍ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَتَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ، مَلأَ اللَّهُ قَلْبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رِضًا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يُثْبِتَهَا، أَثْبَتَ اللَّهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزُولُ الأَقْدَامُ، وَإِنَّ سُوءَ الْخُلُقِ يُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ)[2].

وما أروع أن يستحضر من يُخْرِجُون موائدهم ليشاركهم فيها غيرهم قول النبي صلى الله عليه وسلم: (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا)[3].

١- [المائدة: ٢].

٢- رواه ابن أبي الدنيا وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة (ج٢/٩٠٦).

٣- رواه الترمذي في سننه (٨٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٥).

وما أفضل أن يتذكر من يقف بسيارته ليحمل إخوانه المسلمين حديث النبي عليه الصلاة والسلام في فضل الظهر: (من كان معه فضلُ ظَهر؛ فليعد به على من لا ظَهر له، ومن كان له فضلٌ من زاد؛ فليعد به على من لا زاد له)[١].

وهكذا يربط المسلم كل عباداته وعاداته بالله جل وعلا، على نهج النبي عليه الصلاة والسلام؛ عملاً بقول الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ❖ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)[٢].



١- رواه مسلم (١٧٢٨).
٢- [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

إفطار الصائم في رمضان

■■■

عادة محمودة أن يُخرِج الصائم إفطاره في الشارع ليشاركه فيه الآخرون، وليفوز ببشارة النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال: (مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْئًا)[1].

ما أجملَ أن يضاعف الصائم أجره أضعافاً مضاعفة بأن ينال أجر الصائمين كاملاً غير منقوص، فكأنه إذا فطَّر في كل يوم صائماً أو صائمين أو ثلاثة صام شهراً أو شهرين أو ثلاثة بعدد الذين يفطِّرهم في الشهر، فإن فطَّر ثلاثين شخصاً في الشهر كان كأنما صام شهراً آخر، وإن فطَّر ستين كان كأنما صام شهرين، وهكذا قد يبلغ أجر من صام عاماً كاملاً حين يُفطِّر ٣٦٠ صائماً، وإذا زاد فإن خزائن الله جل وعلا ملأى لا تنفد ولا تنضب.

ولا يهم إن كان الطعام قليلاً أو بسيطاً، فقد يسبق درهم مائة ألف درهم إذا أُخلص العمل وصَدَقَتِ النية، وإن الله جلّ وعلا يبارك في القليل إذا كان خالصاً لوجهه سبحانه وتعالى.

إنَّ ما نراه اليوم من إقبال على إفطار الصائمين في شوارعنا، وما يقوم به المحسنون وأهل الخير من تمويل الإفطارات الجماعية وتوفير سلة الصائم هو مما يؤكد الخيرية الباقية في هذه الأمة المباركة، ويعزز قيم التكافل والتراحم بين المسلمين، ويثبت أنهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؛ مصداقاً لحديث النبي عليه الصلاة والسلام.

لكن المؤسف له زهد الكثيرين في هذا الأجر الجزيل، حين يصرون على الإفطار في منازلهم إما تكبرا أو جهلا بفضل إفطار الصائمين أو حياء

١- رواه الترمذي (٨٠٧).

من ضيق ذات اليد، باستثناء من كان له عذر منهم.

إن الذي يصر على الإفطار في منزله أيام شهر رمضان يستوي عنده شهر رمضان مع بقية الشهور، وإلا لما أفطر داخل منزله أحد عشر شهراً، مضيفاً إليها شهر رمضان المبارك، دون مراعاة لفضله وخصوصيته. ورضي الله عن ابن عمر وأبيه فقد كان لا يفطر في رمضان إلا مع اليتامى والمساكين، وربما لا يفطر إذا علم أن أهله قد ردّوهم عنه في تلك الليلة، ورحم الله الإمام الزهري الذي كان يقول إذا دخل رمضان: (إنما هو تلاوة القرآن وإطعام الطعام).



فضل الظهر في رمضان

■■■

مشهد يتكرر في رمضان، أن ترى مجموعة من الناس يقفون في انتظار المواصلات العامة تحت وهج الشمس، يتصببون عرقاً وتمرُّ بهم الحافلات العامة ملأى بالركاب، يلتفتون يمنة ويسرة وقد غلبتهم الحيلة، ويرددون النظر في ساعاتهم وهم لا يهتدون سبيلاً!

حتى إذا استيأس هؤلاء الصائمون؛ وقفت أمامهم سيارة فارهة وأشار إليهم سائقها بالركوب، فاندفعوا إليه غير مصدقين وهم يلهجون بحمد الله والثناء على من أنقذهم الله به من هذا الوقوف المضني دون أمل في الحصول على مقعد شاغر في حافلة، بل دون أمل في الحصول على مكان للوقوف (شمّاعة).

ويلاحظ أن المسلمين ترقُّ قلوبهم في شهر رمضان، ويقبلون على فعل الخيرات أكثر من بقية الشهور، وعلى رأسها فضل الظهر الذي يمثل عنواناً للتآلف والتراحم، ومظهراً من مظاهر الأخوة الإسلامية.

جميل أن يحس المسلم بمعاناة إخوته في رمضان، وأن يسعى لتخفيف الآلام عنهم، وأن يتقاسم معهم الهموم والأحزان؛ تحقيقاً لوصف النبي عليه الصلاة والسلام للمسلمين بأنهم كالجسد الواحد في تَوَادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم، إذا اشتكى من هذا الجسد عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى، لكنَ الأجمل من ذلك أن يكون هذا ديدن المسلمين مع بعضهم البعض سائر الشهور، بل سائر السنوات.

وإذا كنا نسأل الله تعالى أن يتولانا برحمته وعطفه؛ فعلينا أن نرحم عباده حتى نستحق الرحمة، فقد جُعلت الرحمة الأرضية سبباً في الرحمة الإلهية كما قال رسول لله صلى الله عليه وسلم: (الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ

الرَّحْمَن، ارْحَمُوا أَهْلَ الأَرْضِ يَرْحَمُكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ)[1].

وفي المقابل، من لا يرحم خلق الله تعالى ولا يحسن إليهم فلا يتوقع رحمةً من الله ولا إحساناً، وإذا كانت بغيٌ دخلت الجنة لأنها رحمت كلباً فسقته ماءً، فكيف بمن يرحم إنساناً كرَّمه الله بالإسلام.

وإن كانت امرأة دخلت النار في قطة عذبتها بحبسها حتى ماتت، فكيف بمن يرى المسلمين يقاسون حرَّ الشمس ولا يرأف بحالهم ولا يرحمهم! هل يتوقع هذا رحمة من الله تقيه نار جهنم وحرَّ الشمس التي تدنو من الرؤوس يوم القيامة والنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (من لا يَرحم لا يُرحم)[2]؟!



١- رواه الترمذي (١٩٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٢٢).

٢- رواه البخاري (٥٦٥١).

رمضان:
مضى نصف الزمن..!!

■■■

بالأمس القريب كنا نعد العدة لاستقبال شهر رمضان المبارك ونحن نردد: (أهلاً رمضان)، وها هو شطر رمضان قد انصرم في لمح البصر ليتركنا نردد: (مهلاً رمضان!).

إن انقضاء هذه الأيام الفاضلة دون أن يشعر بها أحد يذكرنا بقول الله جل وعلا (أياماً معدودات)، الذي يسلِّي فيه المسلمين بأن هذه الأيام التي سيحرمون فيها أنفسهم من الطعام والشراب والجماع إنما هي أيام قليلة، و(كل ما يُعَدُّ يُدرَك) كما يقولون، وأيضاً في قول الله جل وعلا (أياماً معدوات) دليل على أنها أيام سرعان ما تنقضي، ليُهَنَّأ المغتنمون والمستثمرون لها، ويُعزَّى المفرطون والمضيعون لها.

(مضى نصف الزمن) عبارةٌ عادةً ما يقولها المراقبون لامتحانات الطلاب؛ يقولونها في حزم تنبيهاً لهم حتى لا تدركهم الغفلة؛ فيمضي الزمن كله لتجمع أوراق امتحاناتهم دون أن يجيبوا عن الأسئلة، أو على الأقل دون أن يحرزوا من الدرجات ما يضمن لهم النجاح. وهنا يتبين وجه الشبه؛ إذ إن شهر رمضان هو امتحان واختبار، يتبين فيه المتفوقون من الراسبين، والفائزون من الخاسرين، والمجتهدون من المهملين، ويحصل فيه البعض على الجوائز والمنح والعطايا القيمة، بينما يحصل البعض الآخر على رصيد وافر من الذنوب والسيئات؛ لذا قال النبي عليه الصلاة والسلام منبهاً المسلمين، ومحذراً من تضييع الفرصة الثمينة: (وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ

رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)[1].

(مضى نصف الزمن) عبارة تُقال أيضاً لتدلل على أن الفرصة ما زالت سانحة لتعويض ما فات من وقت دون استثمار أمثل، وجبر التقصير الذي حصل في النصف الأول؛ فالأعمال بالخواتيم، والعبرة بالنهايات. قال ابن تيمية رحمه الله: (العبرة بكمال النهايات، لا بنقص البدايات)، وقال الحسن البصري رحمه الله: (أحسن فيما بقي؛ يُغفر لك ما مضى)، وقال بعضهم: (إذا لم تحسن الاستقبال، لعلك تحسن الوداع).

وقد رُوي أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه اجْتَهَدَ قَبْلَ مَوْتِهِ اجْتِهَادًا شَدِيدًا، فَقِيلَ لَهُ: لَوْ أَمْسَكْتَ أَوْ رَفَقْتَ بِنَفْسِكَ بَعْضَ الرِّفْقِ؟ فَقَالَ: (إِنَّ الْخَيْلَ إِذَا أُرْسِلَتْ فَقَارَبَتْ رَأْسَ مُجْرَاهَا، أَخْرَجَتْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهَا، وَالَّذِي بَقِيَ مِنْ أَجَلِي أَقَلُّ مِنْ ذَلِكَ)، قَالَ الراوي: فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى مَاتَ)[2].

إنَّ كلَّ أيام رمضان أيام مباركة تُهيأ فيها الأجواء للخير، بفتح أبواب الجنان، حتى لا يُوصد منها باب، وإغلاق أبواب النيران، حتى لا يُفتح منها باب، وتصفيد مردة الشياطين، كما في الحديث: (إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ. وَلِلَّهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ، وَذَلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ)[3]، ولكنّ النصف الثاني من رمضان هو بلا شك أهم وأغلى من النصف الأول؛ إذ فُضِّل عليه بليلة القدر التي تُعد العبادة فيها خيراً من عبادة ألف شهر (٨٣ سنة و٤ أشهر)، والمحروم هو من حُرم خيرها، كما أخبر بذلك النبي عيه الصلاة والسلام.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة في النصف

١- رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

٢- سير أعلام النبلاء (٢/٣٩٣).

٣- رواه الترمذي (٦٨٢)، صحيح الجامع (٧٥٩).

المتبقي من رمضان، ولا سيما العشر الأواخر منه؛ فقد كان عليه الصلاة والسلام (إذا دخل العشر شد مئزره، وأحيا ليله، وأيقظ أهله)[1]، وهذا دليل على كمال الاستعداد النفسي والروحي والبدني لمقبل الأيام الفاضلة؛ أعاننا الله جميعاً على اغتنامها، وتقبلها منا، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.



١- متفق عليه.

فلان جاءته ليلة القدر..!!

■■■

أذكر جيداً ونحن صغار أن أحد أصدقائي قال لي في انبهار وهو يحدثني عن رجل تبدلت أحواله بعد رمضان، وأصبح من أصحاب الأموال والممتلكات:

- فلان ده جاته ليلة القدر!

ومنذ ذلك الحين ترسخ في ذهني - ولعله مترسخ في أذهان الكثيرين أيضاً - أن ليلة القدر إذا جاءت لزيد من الناس فإنه يصبح من الأثرياء المرفهين، يتبدل حاله من الشظف والفقر المدقع إلى الرخاء والعيش الرغد!

وقريب من ذلك، أن أحدنا إذا رُزق سيارة فخمة حديثة سُمِّيت سيارته (رضا الوالدين)، وهذا كناية في مفهوم البعض عن رضا الله عنه برضا الوالدين، وإذا رُزق سيارة متهالكة قديمة سمِّيت سيارته (غضب الوالدين)، إشارةً إلى سخط الله عليه بسخط الوالدين!

وقد نسي هؤلاء أن الله سبحانه وتعالى يبتلي الناس بالخير كما يبتليهم بالشر وبالغنى كما يبتليهم بالفقر فقد جاء في تفسير ابن كثير: (عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً)[1] قال: أي نبتليكم بالشر والخير فتنة بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية، والهدى والضلال).

١- [الأنبياء: ٣٥].

هذه المفاهيم - مع الأسف - تؤكد طغيان النظرة المادية للدين، وإيثار العاجلة على الآجلة، حتى إن كثيراً من الناس إذا حدثته - مثلاً - عن الأجر العظيم المترتب على حضور صلاة الفجر في جماعة في المسجد، تقاعس عن الحضور، وربما قال لك: (الله يهدينا). والعجيب أن ذات الرجل إذا حظي بوظيفة استدعت حضوره إلى مكان العمل مبكراً؛ اجتهد، وبذل من الأسباب ما يعينه على الاستيقاظ في الموعد المحدد، وربما استيقظ في نفس موعد صلاة الفجر الذي كان يعتذر عنه، ومع ذلك يسأل الله تعالى الهداية دون أدنى محاولة منه لبذل الأسباب!

ومثل هذا لو قيل له إن مسجد الحي قد فرض مكافأة مالية لمن يشهد الفجر في جماعة؛ لجاهد نفسه حتى يستيقظ ويفوز بتلك المكافأة، ولو تهاون في الأمر لأوسعه أهله توبيخاً، ولأغلظوا له القول؛ حتى يمتلئ المسجد بأمثاله من الذين شغفوا حباً بالمادة، وملكت الدنيا عليهم قلوبهم!

إن الله سبحانه وتعالى حين شرع ليلة القدر إنما شرعها ليربط المؤمن بالدار الآخرة، ويزهده في الدنيا؛ فقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: (مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ)[1]، ففي هذا دعوة لقيام ليلة القدر إيماناً وتصديقاً بما جاء فيها، واحتساباً للأجر والثواب من الله تعالى وحده، دون رياء أو سمعة أو عُجْب. وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم في ذات الحديث أن ليلة القدر سبب في مغفرة الذنوب والخطايا.

كما رغب الله سبحانه وتعالى في الأجر الأخروي حين ذكر أن ليلة القدر خير من ألف شهر، أي أنها خير من عبادة ثلاث وثمانين سنة وأربعة أشهر، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام بأن المحروم حقاً من حُرم خير هذه الليلة وبركتها، ففي الحديث: (لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)[2].

١- رواه البخاري (١٩٠١).

٢- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

إننا إذا أردنا أن نفوز بخير هذه الليلة المباركة؛ فعلينا أن نُقصي هذه النظرة المادية البحتة التي نقيس بها الأمور، بما في ذلك أمور الدين، ولنعلم أن صاحب النظرة الأخروية الإيمانية هو الذي يفوز بخيري الدنيا والآخرة؛ أما صاحب النظرة الدنيوية المادية؛ فلن يجني سوى سخط الله وخسارة الدنيا والآخرة عياذاً بالله تعالى، وفي الحديث: (مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ؛ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ؛ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ)[1].



١- السلسلة الصحيحة (٤٠٤).

ليلة القدر ومضاعفة الأعمار

■■■

إذا كانت أعمار المسلمين تتراوح بين الستين والسبعين، وقليل من يجاوز ذلك العمر - كما أخبرنا النبي عليه الصلاة والسلام - إلا أن الله جلَّ وعلا من رحمته وفضله اختصَّ هذه الأمة ببركة الأعمار ومضاعفة الأجور والحسنات.

وإذا كانت أعمار بعض الأمم السابقة تبلغ مئات السنين، إلا أن المسلم بما أكرمه به ربه من مواسم فاضلة وأعمال مضاعفة الأجر، يُبَارَك له في عمره ليصبح أضعافاً مضاعفة.

ومن هذه المواسم الفاضلة، العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك التي تقع فيها ليلة العبادة فيها خير من عبادة ألف شهر كما قال تعالى: (لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ)[1].

فهي ليست ليلة واحدة فحسب، ولكنها تعدل عبادة ما يزيد على ألف شهر، أي ما يزيد على ٨٣ سنة و٤ أشهر، وميزة هذه الثلاث وثمانين سنة أو يزيد أنها عبادة صافية لا يستطيع من عاش مثلها أو حتى من بلغ المائة مهما بلغ اجتهاده وحرصه أن يأتي بمثلها؛ لأن عمره - لا شك - ستتخلله سنوات طفولة ونوم ومرض وأكل ولهو ونحو ذلك.

وهكذا فإن من أدرك ليلة القدر فقد أضاف إلى عمر عبادته ما يزيد على ٨٣ سنة صافية، فإذا أدرك على سبيل المثال ١٠ ليالي قدر في ١٠ سنوات، فقد فاق عمر عبادته ٨٣٠ سنة، وإذا أدرك ٢٠ ليلة قدر في ٢٠ سنة فاق عمر عبادته ١٦٦٠ سنة، فيكون بذلك قد بلغ من عمر العبادة ما لم يبلغه كثير

١- [القدر: ٣].

من منسوبي الأمم السابقة؛ فما أعظمها من نعمة، وما أجله من فضل لمن وفقه الله لاغتنام نفحات الله في مواسمه الفاضلة المباركة!

وفي المقابل، إنَّ من فوّت هذه الفرصة الثمينة وهذه المنحة السخية من الله جل وعلا فقد استحق الشقاء والعذاب، واستحق الدعاء عليه، وباء بغضب الله وسخطه إن لم يتغمده الله برحمته وعفوه. وفي الحديث: (لِلَّهِ فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ)[1]. وفي حديث: (وَرَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دَخَلَ عَلَيْهِ رَمَضَانُ ثُمَّ انْسَلَخَ قَبْلَ أَنْ يُغْفَرَ لَهُ)[2].



١- رواه أحمد والنسائي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٩٩).

٢- رواه الترمذي (٣٥٤٥) وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

رمضان يحزم أمتعة الرحيل..!!

■■■

كأني برمضان ضيف مهم كريم نزل عندنا أياماً معدواتٍ وفترةً مؤقتة، ثم لما اقترب موعد رحيله أخذ يحزم أمتعته استعداداً لرجوعه من حيث أتى.

ولعل أيام رمضان الأخيرة هي الأهم بالنسبة لهذا الضيف رفيع المستوى، فمن فرَّط في أيامه الأولى، ولم ينزله منزلته التي تليق به، ولم يكرم وفادته بما هو أهل له؛ فلعله يستدرك ما وقع من تقصير، ويجبر ما حصُل من تهاون، خاصة وأن رمضان يكون في أيامه الأخيرة أكثر سخاءً وكرماً من بقية الأيام، بما اختصه الله به في العشر الأواخر، من بركات وهبات، وجوائز ومنح، في مقدمتها ليلة القدر التي فُضِّلت على ألف شهر من العبادة!

ولعلنا إذا ودعنا رمضان بتصحيح النوايا، وإحسان العمل، والاجتهاد في الطاعة؛ أُسوةً بالنبي عليه الصلاة والسلام الذي كان يشد مئزره، ويوقظ أهله، ويحيي ليله؛ لعلنا إذا فعلنا ذلك؛ يغفر لنا ما قد سلف من تفريط وتهاون؛ فالأعمال بالخواتيم، والعبرة بالنهايات.

حُقَّ لنا أن نذرف العبرات على فراق ضيف عزيز طالما آنس وحشتنا، وملأ فراغنا، وجبر كسرنا، وأكرمنا بهداياه السخية، وعطاياه الجليلة؛ لكن شتان بين حزن وحزن: بين حزن من اجتهد في رمضان وأحب رمضان فحزن لفراقه، وبين من قصَّر في رمضان وفرَّط في أيامه ولياليه، فحزن لتفويته الفرصة الثمينة التي قد لا تتكرر في حياته مرة أخرى؛ فالأول يستحق أن يُهنَّأ ويُسأل له القبول، والثاني يستحق أن يُعزَّى ويوبَّخ على تقصيره وتفريطه!

فالفرحة الحقيقية لمن حصَّل التقوى، وفاز بعفو الله ومغفرته، وحاز

رضا الله وجنته، وزُحزح عن ناره وأعتق منها. وفي الحديث: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لقاء ربه)[1]، قال السعدي رحمه الله في تفسير الحديث: (هذان ثوابان: عاجل، وآجل. فالعاجل: مشاهد، إذا أفطر الصائم فرح بنعمة الله عليه بتكميل الصيام، وفرح بنيل شهواته المباحة التي مُنع منها في النهار. والآجل: فرحه عند لقاء ربه برضوانه وكرامته. وهذا الفرح المعجل نموذج ذلك الفرح المؤجل، وأن الله سيجمعهما للصائم).

وجزى الله خيراً الشاعر مؤيد حجازي الذي قال:

يا خير من نزلَ النفوسَ أراحلُ ... بالأمسِ جئتَ فكيفَ كيفَ سترحلُ

بكتِ القلوبُ على وداعك حُرقةً ... كيفَ العيونُ إذا رحلتَ ستفعلُ

من للقلوبِ يضمها في حزنها ... من للنفوس لجرحها سيعلّلُ

ما بال شهرَ الصوم يمضي مسرعاً ... وشهورُ باقي العام كم تتمهّلُ

عشنا انتظارك في الشهورِ بلوعةٍ ... فنزلتَ فينا زائراً يتعجّلُ

ها قد رحلت أيا حبيبُ، وعمرنا ... يمضي ومن يدري أأنتَ ستُقبلُ

فعساكَ ربي قد قبلت صيامنا ... وعساكَ كُلّ قيامنا تتقبلُ

يا ليلة القدر المعظّم أجرها ... هل إسمنا في الفائزينَ مسجّلُ؟

كم قائم كم راكع كم ساجدٍ ... قد كانَ يدعو الله بل يتوسلُ

أعتقْ رقاباً قد أتتكَ يزيدُها ... شوقاً إليكَ فؤادُها المتوكّلُ



نعم أستطيع بعد رمضان

■■■

إن كنتَ في رمضان قد تركتَ الحلال من أجل الله تعالى، من أكل وشرب وجماع؛ فإنك لا شك تستطيع أن تمسك عليك لسانك فتترك المحرَّم، من غيبة ونميمة وبهتان وزور سائر أيامك.

وإن كنتَ قد صُمْتَ عن الطيبات أثناء صيامك، فإنك قادر بلا ريب على أن تصوم عن المحرمات من دخان، وتمباك، ومُسْكِرٍ، ومخدِّر حين تفطر.

وإن صامت بطنك عن الأكل والشرب، وصامت شهوتك عن المباح في رمضان، فبوسع جوارحك أن تصوم عن المحرمات بعد رمضان؛ فلا تنظر إلى الحرام، ولا تسمع ما يغضب الله، ولا تذهب إلى ما يسخطه، ولا تأتي ما يكرهه سبحانه.

وإن جاهدتَ نفسك لتتخلّق بالأخلاق الحسنة الحميدة في رمضان، فلا يصعب عليك أن ترتقي بعد رمضان في مدارج الأخلاق حتى تصبح دماثة الخُلق سمة ملازمة لك، و(إنما الحِلْم بالتحلُّم)[1] كما في الحديث الشريف.

وإن داومتَ على الصلوات المفروضة والنوافل في المساجد في رمضان، فلا يتعسّر عليك أن تداوم عليها بعد رمضان؛ حتى يصبح قلبك معلقاً بالمساجد، وتصبح الصلاة قرةَ عينك كما كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وإن أكثرت من الطاعات والقربات في رمضان، من بر والدين، وصدقة، وصلة أرحام، وغيرها، فليس هناك ما يمنعك من المداومة عليها بعد رمضان؛ لتكون ديدنك ودأبك حتى تلقى ربك.

١- رواه الطبراني وغيره، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢).

وإن استقمت في رمضان على الجادة، فلا يشق عليك أن تستقيم على الصراط المستقيم بعد رمضان؛ حتى تكون ربانياً يعبد الله في سائر الشهور، وليس رمضانياً يعبد الله في رمضان، ثم ينتكس في بقية الشهور.

إذن؛ ليكن شعارنا المرفوع أننا نستطيع التغيير بإذن الله تعالى بعد رمضان كما استطعنا التغيير في رمضان، وأن يكون رمضان بداية لمرحلة جديدة يكون الواحد منا فيها أقربَ وأحبَّ إلى ربه جلَّ وعلا، وأكثرَ حرصاً على مرضاته سبحانه، واتباع نبيه عليه الصلاة والسلام؛ فلنبدأ مستعينين بالله، ولنعلم أن الله يعين من استعان به وناداه، وينصر من استنصره، وأن من صدق الله صدقه.



ربانيون لا رمضانيون

■■■

يستقيم كثير من الناس على الطاعة في رمضان، فيقبلون على المساجد، ويشهدون الصلوات على وقتها، ويحضرون صلاة التراويح، ويتهجدون في العشر الأواخر، ويتركون ما درجوا عليه من الملهيات والمغريات والملاعب، ولكنَّ هؤلاء ما إن ينقضي شهر رمضان حتى يعودوا لما كانوا عليه قبل رمضان، من الغفلة، والإعراض، والتقصير في الطاعات.

صحيح، أن شهر رمضان شهر يُستحب فيه الإكثار من الطاعات، فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يجتهد في رمضان ما لا يجتهد في غيره، ولكن العبرة ليست في زيادة معدل الطاعات، بل في الثبات عليها، وإن العمل القليل الدائم خير من الكثير المنقطع.

إن إرداف الطاعة بالطاعة والثبات عليها من أوضح الأدلة على قبول العمل؛ فالطاعة تُفضي إلى الطاعة، كما أن المعصية تقود إلى المعصية، وإن الذي ينتكس بعد رمضان، وينقض غزله بعد قوة أنكاثاً يُخشى ألا يكون عمله متقبلاً؛ لذا عليه أن يراجع نيته ويجدد التوبة، فلعل عمله قد داخله مفسد من مفسدات العمل كالشرك والبدعة، ولم يكن مخلصاً لله جل وعلا، وفي الحديث: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه)[1].

إن المؤمن بطبعه رباني يداوم على الطاعة، ويراقب الله جل وعلا في سائر الأوقات والأحوال، لا يعبد الله في شهر دون شهر؛ لأن الرب سبحانه وتعالى هو رب سائر الشهور، ولا يستقيم على حال دون حال؛ لأنه يعلم

١- رواه مسلم (٢٩٨٥).

أن الخالق عزَّ وجلَّ معه بعلمه حيثما كان؛ أما من يعكف على الطاعة في رمضان ويدير لها ظهره بقية الشهور، فهو رمضاني، ينشط إذا نشط الناس، ويفتر إذا فتروا، يتعبد في رمضان عادة لا عبادة، مع أن الإسلام أمر بأن يوطِّن المسلم نفسه، إذا أحسن الناس أن يحسن، وإذا أساؤوا أن يجتنب إساءتهم. وفي الحديث: (لا تكونوا إمعة تقولون إن أحسن الناس أحسنا، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا فلا تظلموا)[1].

والسؤال البدهي في هذا السياق هو: كيف يمكن أن نستقيم على الطاعة في رمضان، ونثبت عليها بعد رمضان؟

أولاً: لا بد من الاستعانة بالله جل وعلا، والإلحاح عليه أن يوفقنا إلى الثبات على دينه، فقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: (يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك)[2]، وفي الحديث: (يا معاذ! والله إني لأحبك، فقال: أوصيك يا معاذ: لا تدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك)[3].

ثانياً: الإكثار من الاستغفار وتجديد التوبة؛ لأن المعاصي تحرم العبد التوفيق، فلا بد من التوبة الصادقة منها؛ حتى لا تقف حجر عثرة في طريق الاستقامة.

ثالثاً: التقرب إلى الله جل وعلا بأنواع الطاعات والنوافل؛ فإن ذلك من أكبر المعينات على تحصيل محبة الله وتوفيقه، وفي الحديث: (وما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببتُه كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني

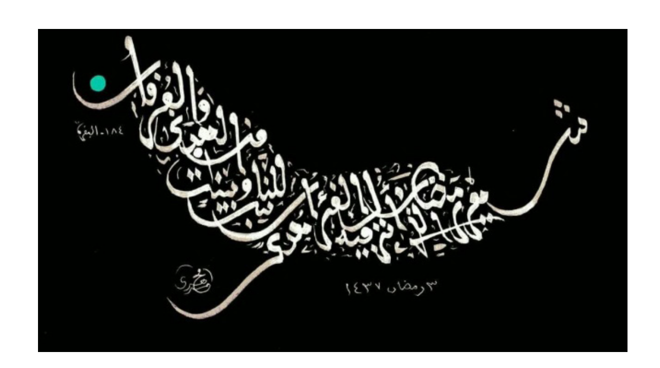
١- صحيح الترهيب والترهيب (٣٠٨/٣).

٢- رواه الترمذي (٢١٤٠) وابن ماجه (٣٨٣٤)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٨٣٤).

٣- رواه أبو داود (١٥٢٢) والنسائي (١٣٠٣)، صحيح الجامع (٧٩٦٩).

لأعيذنه)[١].

إن المؤمن ينبغي أن يكون ربانياً، يستقيم على طاعة الله جل وعلا وعبادته سائر الشهور، وليس رمضانياً، يعبد الله في شهر رمضان، فإذا مضى الشهر المبارك عاد لما كان عليه من الغفلة والتفريط في جنب الله، قال تعالى: (واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يأتيَكَ اليَقِينُ)[٢].



١- رواه البخاري (٦٥٠٢).

٢- [الحجر: ٩٩].

ليت كل أيامنا رمضان

■■■

«ليت كل أيامنا رمضان»، عبارة قالها برضى أحد المصلين في المسجد وهو يرى تغير حال الناس في رمضان نحو الأفضل.

في شهر رمضان المبارك يسود الهدوء شوارعنا، حتى لا تكاد تجد كالعادة شجاراً بين اثنين أو صياحاً كما كان يحدث قبل رمضان، حيث يختفي - إلى حد كبير - الشجار الذي ينشب بين سائقي السيارات أو بين مساعد السائق (الكمساري) وبين ركاب الحافلات العامة.

تلك الشجارات التي يتبادل فيها الناس السباب والشتائم، وقد تستفحل وتتحول إلى ضرب بالأيدي، أو ينتهي بها المطاف إلى قسم الشرطة، أو إلى القتل كما قرأنا من قبل أكثر من مرة على صفحات الحوادث بالصحف اليومية!

في رمضان تختفي كثير من الظواهر عن شوارعنا، فالنساء أكثر احتشاماً وإقبالاً على الحجاب، وأكثر بعداً عن التبرج والسفور، وكثير من الرجال تركوا الجلوس على الطرقات دون داعٍ أو عمل، واختفت ظواهر الأكل في الشوارع وشرب الشاي والشيشة، وقل الاختلاط بين الجنسين حين كُسِرت الشهوة بالصوم، وانخفض منسوب الكذب والغش في الأسواق إلى أدنى درجة، وندرت المخالفات المرورية، حتى لا يكاد رجال الشرطة يجدون من يحررون له مخالفة مرورية.

وفي رمضان يدخل الناس - ولا سيما الشباب منهم - المساجد أفواجاً، يُحيون أيامهم ولياليهم بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، ويرى المصلون وجوهاً قد آبت لخالقها بعد غيبة طويلة حين قيدت شياطينها، فاهتدت إلى دروب التقوى والإيمان، وانكسرت خاشعة لربها الرحمن.

في رمضان، تتملك الرحمة قلوب الناس، فيحنو كبيرهم على صغيرهم، وقويهم على ضعيفهم، ومن كان له فضل زاد أو ظهر عاد به على من لا زاد له ولا ظهر، فيطعمون الطعام، ويحملون معهم في سياراتهم الخاصة من لا يملك سيارة أو وسيلة ترحيل.

إن هذا الوضع المثالي الذي يخيم على المناخ الرمضاني أدعى بتأمل ذوي العقول والألباب، وأحرى بأن يدفعنا للتساؤل:

ما دمنا في رمضان على هذا النحو من الاستقامة والسمو الروحي والخُلقي؛ فلماذا لا يكون رمضان نقطة تحول وتغير على مستوى الفرد، بتصحيح العقيدة، وتزكية النفس، وتهذيب الطبع، ومن ثم التغيير على مستوى الجماعة تغييراً لحال الأمة وإصلاحاً لشأنها؛ فالتغيير يبدأ بالفرد، ولو بدأ كل منا بنفسه فأصلحها لكانت تلك بداية التغيير الحقيقية والنقطة التي تنطلق منها الأمة على مستوى التغيير الأكبر الذي يشمل مناحي الحياة كافة؛ حتى تعود الأمة لتحتل موقعها القيادي والريادي بين الأمم.

فلنعقد العزم هذه المرة على الاستقامة على الجادة وألا ننتكس بعد رمضان؛ حتى تصبح كل أيامنا رمضان، فيعود ذلك بالخير والفلاح علينا وعلى أمتنا.

عيد الفطر والفرحة الحقيقية

■■■

مفهوم العيد عند الكثيرين قاصر على مظاهر الاحتفال، من ارتداء الملابس الجديدة، وتوزيع الحلوى والمخبوزات، وشراء لعب الأطفال واصطحابهم إلى الملاهي والمتنزهات، وزيارة الأهل والأقارب والأصدقاء.

نعم، إنها فرحة لا غبار عليها ما دامت في إطار الفرح المباح بعِيدٍ من الأعياد الشرعية التي أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي الحديث الصحيح عَنْ أَنَس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: (قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الْمَدِينَةَ وَلَهُمْ يَوْمَانِ يَلْعَبُونَ فِيهِمَا، فَقَالَ: مَا هَذَانِ الْيَوْمَانِ؟ قَالُوا: كُنَّا نَلْعَبُ فِيهِمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَبْدَلَكُمْ بِهِمَا خَيْرًا مِنْهُمَا يَوْمَ الأَضْحَى وَيَوْمَ الْفِطْرِ)[1].

نعم، الفرح المباح جائز ما دام عيد الفطر المبارك أحد أعياد المسلمين الشرعية، وليس من الأعياد المبتدعة - وما أكثرها - تلك الأعياد التي لا تنتمي إلى ملتنا ولا تمت لأمتنا بصلة، وتثبت تبعيتنا العمياء للغرب ودخولنا معه جحر الضب الخرب!

فحُقَّ لكل مسلم ومسلمة أن يفرح بهذا العيد فرحاً مباحاً، لا حرمة فيه، وليس على نحو ما يحدث اليوم مما ينافي هذا الفرح المباح، مثل دخول الحفلات الموسيقية المختلطة التي يمتزج فيها الحابل بالنابل، والتي يسعى شياطين الإنس للترويج لها منذ العشر الأواخر، بل منذ انتصاف الشهر، فتقرأ إعلاناتها المعلقة على الشوارع بخط عريض: الحفل الساهر... أول/ثاني/ثالث/رابع أيام العيد... مع الفنان الفلاني... نادي (...)... فئة التذكرة (...).

١- رواه النسائي (١٥٥٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح.

وهـذا النـوع مـن الفرحـة قـد تكـون فيـه دلالتـان: الدلالـة الأولى: الانتكاس بعد الاستقامة في رمضان لمن كان مداوماً على الطاعة فيه، ولكنه ختـم شـهره بمثـل هـذه المعاصي، والدلالـة الثانيـة عدم قبول العمـل، إذ إن الله جلَّ وعلا لـو تقبـل مـن الصائـم صيامـه وقيامـه وعبادتـه وقرباتـه في رمضـان لوفقـه لإرداف الطاعـة بالطاعـة فيمـا بعـد رمضـان؛ إذ إن ذلـك يعد علامـة من علامـات قبـول العمـل.

إن الفرحـة الحقيقيـة والعيـد الحقيقـي يكمنـان في تحقيـق التقـوى التـي تعتـبر الغايـة الكبرى من فـرض الصيـام؛ لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]، تلك التقـوى التـي ينعـم صاحبهـا بالحيـاة الطيبـة في الدنيـا، والأمـن مـن الخـوف والحزن يوم القيامة؛ فيفوز بالفلاح في الدنيا والآخرة. ورحم الله أحد السلف الـذي قـال: (ليـس العيـد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن اتقى وخاف الوعيد).

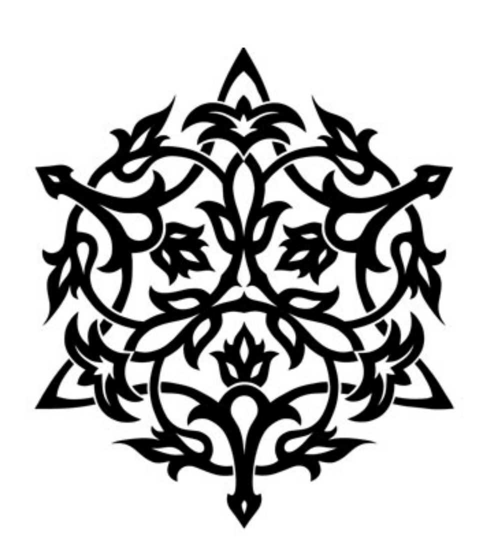
وتكمـن الفرحـة الثانيـة في تقبـل الصيـام والقيـام والجـزاء الأوفى عند لقاء الله جل وعلا، قـال رسـول الله صلـى الله عليـه وسـلم: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)[2].

أمـا الفرحـة العظمـى التـي تنتظـر المسـلم الـذي صـام وقـام رمضـان إيماناً واحتساباً، فهي المنحة المثلى والجائزة الكبرى والفوز العظيم بالعتق من النيـران، قـال تعـالى: (فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ)[3]، ثم من بعد العتق من النار الفوز بالجنة وتحصيل الدرجات العلى فيها، حينما يضاف الصيام إلى بقية الأعمال فيُربيها ويزيدها ويضاعـف حسـناتها؛ لأنـه العمـل الوحيـد الـذي أضافـه الله عزَّ وجلَّ لنفسـه، والعمـل الوحيـد الـذي لا تداخلـه شبهـة الريـاء؛ لـذا كـان للصيـام خصوصيتـه وتشريفه، فهو لا يدخل المقاصة، فلا يستطيع أصحاب المظالم أن يأخذوا منه شيئاً، ولا يتقيـد بثـواب العشـر درجـات إلى السـبعمائة ضعـف كمـا هـي بقيـة الأعمال، بل قد يفوقها جميعاً في الأجر؛ لأنه متعلق بعطاء الكريم المنان الغفار

١- [البقرة: ١٥٣].
٢- متفق عليه.
٣- [آل عمران: ١٨٥].

الذي خصَّ نفسه بالصوم؛ فيكون العطاء بقدر المعطي سبحانه. وفي الحديث: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الْحَسَنَةُ بعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمَ. فَإِنَّه لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)[1].

والخلاصة: ينبغي لنا أن نستحضر هذه المعاني عندما نستقبل عيد الفطر المبارك حتى تكون فرحتنا فرحة حقيقية، وحتى نؤجر عليها، أما أن تكون هذه الفرحة مجرد عادة كغيرها من العادات، خالية من المعاني وخاوية من الروح؛ فهذا لن يحصِّل المقصود، ولن يحقق المبتغى، ولن يجعلنا ننفذ إلى الجوهر والعمق.



١- متفق عليه.

عيد الفطر: إحدى الفرحتين

■■■

حُقَّ للمسلم أن يفرح في عيد الفطر المبارك بفضل الله جل وعلا الذي وفقه إلى الصيام والقيام في شهر رمضان المبارك، وهي فرحة تمثل إحدى فرحتين: فرحة في الدنيا، وفرحة في الآخرة؛ لقول الرسول الله صلى الله عليه وسلم: (لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ)[١].

وتكتمل فرحة المسلم في الدنيا بأن يشاطره المسلمون في جميع أنحاء العالم في هذه الفرحة؛ لأنه يحب لأخيه المسلم ما يحبه لنفسه؛ ولأن المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى؛ كما أخبر بذلك النبي عليه الصلاة والسلام؛ ولكن ما دام هناك من إخوانه المسلمين من يُقتَّلُ، ويُشرَّد، ويُستضعف، ويُؤسَر، ويجوَّع، وينتهك عرضه؛ فستظل فرحته فرحةً ناقصةً، لا تكتمل حتى يسلم كل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها من كل سوء، وحتى يتحرر كل شبر جثم عليه الأعداء، ولا سيما المسجد الأقصى ثاني القبلتين.

لهذا؛ فإن المسلم يتذكر وهو يستشعر الفرحة في عيد الفطر المبارك، يتذكر إخواناً له، غابت البسمة عن شفاههم، وغاضت الفرحة في قلوبهم، يتذكرهم في «إفريقيا الوسطى» و«مانمار» وهم يُقتلون ويُنكَّل بهم، ويتذكرهم في «سوريا» و«العراق» وهم يُغتَالون ويُشرَّدون، ويتذكرهم في «كشمير» و«الفلبين» وهم يُعذَّبون ويضطهدون، ويتذكرهم في «السودان» و«الصومال» وهم يعانون التشرذم والتناحر، ويتذكرهم في اليمن وليبيا والشيشان والبوسنة والهرسك، وفي غيرها من بلاد المسلمين.

ولا ينسى المسلم في يوم فطره أن يخص إخوانه بدعائه، مبتهلاً إلى

١- متفق عليه.

الله تعالى أن يفرِّج عن المكروبين والمستضعفين والمأسورين والمبعدين منهم، وإن استطاع مدَّ إليهم يد العون، فتبرع للجهات التي تقدم لهم المساعدات والإغاثات، وإلا اكتفى بدعائه، بحضور قلب وإلحاح على الله أن يرفع عنهم ما يجدونه من غمّ، وأن يقيل عثرتهم؛ وهذا أقلُّ ما يجب تجاههم.

أما الفرحة الكبرى، فهي الفرحة عند لقاء الله جلّ وعلا في الآخرة، حين يعلم أن الله عزَّ وجلَّ قد تقبل منه الصيام والقيام، وأعتق رقبته من النار، ورضي عنه، فتكون قمة السعادة حين يجازيه جزاءً أوفى؛ لأنه يعلم أنه سبحانه قد اختص نفسه بالصوم، وتكفل بجزائه، ونسبه إلى نفسه نسبة تشريف، وما كان هذا شأنه فلا شك أن جزاءه لا يخطر على بال، ما دام صادراً من رب رحيم كريم منان، وفي الحديث: (كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: إِلَّا الصَّوْمَ. فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ)[1].



١- متفق عليه

ترجمة المؤلف:

- علي صالح طمبل
- من أبناء جزيرة لبب بدنقلا - الولاية الشمالية، ومواليد مدينة أركويت بالخرطوم عام ١٩٧٨م.
- تخرج في كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية. جامعة الخرطوم عام ٢٠٠٢م.
- حصل على شهادة القيد الصحفي عام ٢٠٠٤م من المجلس القومي للصحافة والمطبوعات.
- نال الدبلوم العالي في الشريعة والقانون من معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي - جامعة أمدرمان الإسلامية ٢٠١٢م.
- له مقالات وبحوث منشورة في الصحف السودانية والدوريات العربية والمواقع الإلكترونية في المجالات الاجتماعية والثقافية والأدبية.
- معدّ ومقدم برامج في عدد من الإذاعات والقنوات الفضائية السودانية.
- شارك في عدة فعاليات ثقافية وأدبية داخل وخارج السودان.
- يتعاون مع المنظمات التطوعية في مجال الإعلام والعلاقات العامة.
- عمل في هيئة تحرير عدد من المجلات، من بينها (صحتك)، (المورد)، (بصمة شباب).

له عدة مؤلفات، من بينها:

١. (مرافئ وشرفات) مجموعة مقالات، طُبع بتاريخ يناير ٢٠١٦م عن مطابع السودان للعملة.
٢. (قصص وعبر من واقعنا المعاش)، طُبع بتاريخ فبراير ٢٠١٨م عن مطابع السودان للعملة.
٣. (المرأة في كتابات توفيق الحكيم) - بحث حصل على المركز الثاني في الملتقى الأدبي بالإمارات ٢٠٠٥م.
٤. (دور المنظمات التطوعية في توظيف طاقات الشباب) - بحث قُدِّم في مؤتمر الندوة العالمية الثاني (الشباب في عالم متغيّر) - مراكش يناير ٢٠١٥م.
٥. (البطل المنقوش على شرفات المجد) مجموعة شعرية - لم تُطبع.
٦. (البحث عن وفاء) مجوعة قصصية (نُشر أغلبها في الصحف ومواقع الإنترنت).
٧. (نقد المجتمع في شعر الهادي آدم)- دراسة نقدية .

رقم الإيداع: ٢٦٣ /٢٠١٩م



الإحســـان للإنتـــاج الفني والإعــــلامي
Al-Ehsan For Artistic and Media Production

نحـن

مجموعة متخصصة في تقديم الإعلام الهادف
بأحدث الوسائل وعبر الوسائط الإلكترونية
والقنوات الفضائية والإذاعية

الرؤية

الريادة في الإعلام السوداني الهادف

الرسالة

إيجاد محتوى إعلامي قيمي وفق المعايير المهنية

الوسائل

الفيديوهات والصوتيات والمقالات والكتب
والبحوث والتصاميم والإنفوجرافيك



لمزيد من المعلومات
زيارة الموقع الإلكتروني للإحسان
www.al-ehssan.net

رقم الإيداع الدولي / ردمك : ISBN : 978-99942-1-963-6



رمضان : نقطة تحول وموسم تغيير

تأليف : علي صالح طمبل